الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف. المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم التسجيل:

العنوان:

ساطع الحصـــري ودوره في ترسيـــــخ الفكـــر القومـــي العربـــي خلال القرن 20

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطالبة:

- صخاري أميرة

تحت إشراف

أ. خير عامر

- أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. صالح لميش	جامعة المسيلة	رئيسا
أ. خير عامر	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. عبد الرحمان نويقة	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ / 2020-2021

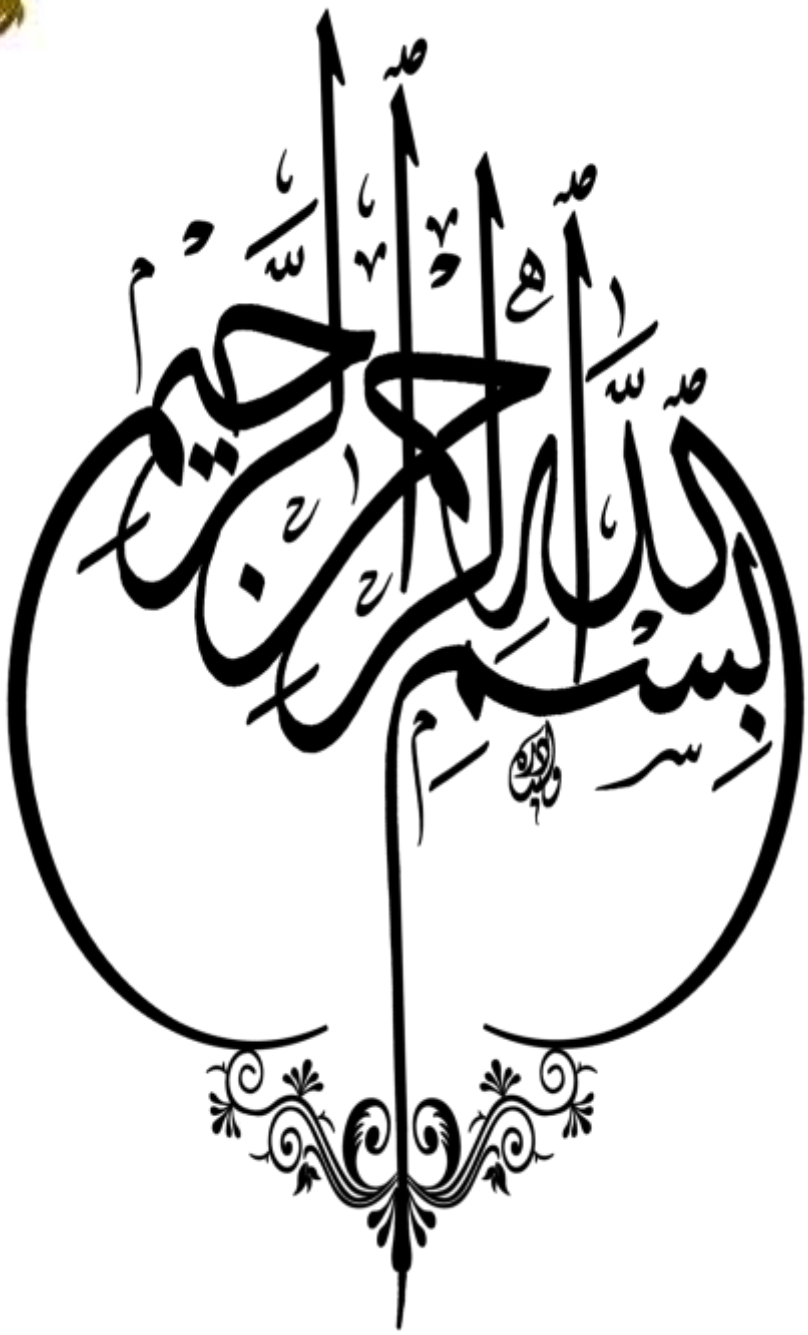

اللهم ارزق قارئنا فتوح العارفين وصحبة

الصالحين وشهادة المجاهدين وعلوم الانبياء

والمرسلين وعمر نوح وبشرى يعقوب وحلم ابراهيم

وغنى سليمان وجمال يوسف وقوة موسى وصبر ايوب وبلاغة هارون

وشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

يا رب العالمين.

شكر وتقدير

نشكر الله العلي القدير ونحمده على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع ونصلي ونسلم على نبينا الكريم، عليه أفضل الصلاة والسلام، القائل " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" وعليه فإنني.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى استاذي الفاضلين الاستاذ خير عامر والدكتور " صالح لميش" على ما قدماه لي من جهد صادق وعون مخلص خلال فترة إعداد هذا البحث، وحرصه الدائم على أن يخرج هذا البحث الى النور في أفضل صورة ممكنة.

كما أتقدم بخاص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى السيد رابح طبيش والسيدة كريمة بلعمش زملاء المهنة.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل الا بشكرك، ولا تطيب اللحظات الا بذكرك، ولا تطيب الأخرة الا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من احمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمرك، لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد ابي العزيز " بوجمعة".

إلى من لو جاز السجود لغير الله لسجدت لها، إلى من يعجز اللسان عن ذكر خصالها وطيبة قلبها، إلى التي أعطتني ولازالت تعطيني بلا حدود وأنارت لي درب النجاح في الحياة ريحانة فؤادي وأجمل اسم أنادي به أمي العزيزة "دليلة درو ".

يا حبة القلب... يا من رآك قلبي وعشقك قبل أن تراك عيناي، يا من حملتك يداي واحتواك حضني، ورعتك عيناي وحرسك قلبي يا فلذة كبدي وروحي وقرة عيني ابني العزيز" يزن سراج الدين".

إلى ذلك الجبل الذي عندما تميل بي الدنيا أسند نفسي عليه عند الشدائد، الى القلب الطاهر الرقيق والنفس البريئة، إلى ريحان حياتي اخي العزيز "امير".

إلى طفلتي المدللة وصديقتي الصدوقة وحبيبتي الودودة إليك ياسندي في الحياة وقوتي وملاذي بعد الله، ويا قطعة من أمي أختي العزيزة "ملاك".

الى صديقاتي و رفيقات دربي:

بشرة، عائشة، ليندة، أمال، لميس، إكرام، زينة، بشرة

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ج	جزء
ط	طبعة
د–ت	دون تاريخ
د–م	دون مكان
تر	ترجمة
م	ميلادي

مقدمة

مقدمة:

كانت القومية تمثل جانبا متكررا من الحضارات منذ العصور القديمة، فهي مجموعة الروابط الثقافية الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد ولها تاريخ واحد ومصالح مشتركة، وشعور للانتماء الى امة واحدة، ولأن انسانية القومية لا تستند على الدم وانما على الشعور والعمل والانتماء، ودعا الكثير من المفكرين الى القومية. ومن بينهم ساطع الحصري ويعتبر اول من حاول التنظير لفكرة القومية العربية واعاد الحيوية لها والتي لا تقتصي اي طرف او اتجاه سياسي او فكري او اجتماعي في الوطن العربي.

ومن هذا يمكنني صياغة اشكالية البحث والتي تتمحور حول قضية جوهرية في الدول العربية وتتمثل اساسا في بروز فكرة القومية العربية خاصة عند ساطع الحصري؟ وتندرج ضمن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية والتي نجد اجاباتها مضمنة في المتن ومنها:

- ✓ متى ظهرت القومية؟ وكيف كانت الاوضاع في الوطن العربي خلال القرن العشرين الميلادي؟
- ✓ أين نشأ الحصري؟ وماهي العوامل التي ساهمت في صقل شخصية العلمية؟
- ✓ كيف كانت نظرة الحصري إلى القومية العربية؟ وما هي العوامل المؤثرة في فكره؟ ومن هم أبرز منتقديه؟
- ✓ ما هو محتوى فكر القومي العربي عند الحصري؟ ما هو مفهوم الامة العربية مقوماتها وخصائصها؟
- ✓ فيما تمثلت التجزئة العربية وجذورها الإقليمية وطرق مواجهتها؟ كيف كان شكل الوحدة العربية ووسائل تحقيقها؟ وفيما تمثل برنامج القومية العربية؟
- ✓ ما هو فكر القومي العربي المعاصر وموقعه من فكر الحصري؟

إن اختياري لهذا الموضوع لم يكن وليد الصدفة حيث اجتمعت عدة أسباب دفعتنا لاختياره منها ذاتية ومنها موضوعية ولعل أبرزها:

- حب الاطلاع على مستجدات الوطن العربي أثناء فترات الاحتلال والتحرر.
- توسيع مداركي المعرفية حول القضية العربية الشائكة التي دفعت بأمثال الحصري الى تبني فكرة القومية.
- التعرف على الدور الذي لعبه الحصري في ترسيخ فكرة القومية العربية.

وتتضح لنا أهمية الموضوع من خلال الوقوف على مبادئ وأراء الحصري نحو فكرة القومية العربية والدعوة إليها.

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، إضافة إلى ملحق للموضوع، حيث تناولنا في الفصل التمهيدي ظهور فكرة القومية العربية والأوضاع العامة للوطن العربي فيما بين (1918-1968 م).

وفي الفصل الأول من هذه المذكرة الذي جاء بعنوان حياة ساطع الحصري واستعرضت فيه:

- مولده ونشأته.
- وظائفه في الدولة العثمانية (1900-1918).
- ساطع الحصري في سوريا (1920-1921).
- ساطع الحصري في العراق (1921-1941).
- ساطع الحصري بعد نفيه (1941-1968).

أما في الفصل الثاني تحت عنوان الفكر القومي عند ساطع الحصري تناولت فيه:

- نظرة الحصري العامة الى القومية ثم نقاش الحصري لمختلف النظريات القومية (النظرية الألمانية، النظرية الفرنسية النظرية الشيوعية)، وأدرجنا العوامل المؤثرة في فكره.

وتمت الإشارة إلى الذين نقدوا الحصري ومنهم: (أنور الجندي، وميض جمال عمر نظمي، سعدون حمادي، الياس مرقص).

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان محتوى الفكر القومي العربي عند ساطع الحصري وضم جملة من العناصر أهمها: مفهوم الأمة العربية مقوماتها وخصائصها، والتجزئة العربية وجذورها الإقليمية ومواجهتها، وكذا تناولنا الوحدة العربية شكلها ووسائل تحقيقها بالإضافة إلى برنامج القومية العربية وما تضمنه من عناصر فرعية.

وكان الفصل الاخير بعنوان الفكر القومي العربي المعاصر وموقعه من فكر الحصري وعرضت فيه: حزب البعث العربي، والحركة الناصرية، وحركة القوميين العرب.

وأنهينا بحثنا بخاتمة لخصا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

اقتضت طبيعة الموضوع والمعالجة للإشكالية المطروحة والإجابة عنها أن نعتمد على المناهج التالية: المنهج التاريخي الوصفي الذي استخدمناه في دراسة الموضوع ووصف الاوضاع العامة للوطن العربي، ووصف حياة وشخصية الحصري، وكذا المنهج التحليلي في دراسة وتحليل نظرته لفكرة القومية العربية وكيفية مناقشتها، إضافة إلى استخلاص بعض النتائج.

لإنجاز هذه الدراسة قد تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في انجاز موضوع الدراسة بين كتب ومجلات منها:

- ✓ ابو خلدون ساطع الحصري من خلال كتابه ما هي القومية؟ الذي وظفناه بشكل مكثف تقريبا في جميع فصول المذكرة لتبيين تمحور فكرة القومية العربية، وكتابه مذكراتي في العراق بجزئيين الذي افادني في شرح نظرة الحصري للقومية العربية.
- ✓ محمد برج عبد الرحمان من خلال كتابه ساطع الحصري اعتمدنا عليه في الفصل الأول لعرض شخصية وحياة الحصري.
- ✓ نظمي وميض جمال عمر في مجلة المستقبل واستعملنا ذلك في نقده للحصري.

لم يكن انجاز هذه الدراسة بالأمر المهين بحيث واجهتني عدة صعوبات لعل أبرزها:

الارتباطات المهنية والأسرية إلى جانب كثرة كتب ساطع الحصري وغزارة المعلومات بها مما صعّب عنا حصر المعارف والمعلومات التي يجب تناولها في موضوع الدراسة ويرتبط ذلك بتعليمة الكلية التي حددت صفحات البحث بتعليمة المعايير الخاصة بإنجاز المذكرة لهذا العام.

أملي أن أكون قد وفقت في عملي، كما أتمنى أن يكون عند حسن ظن أساتذتنا وحتى الذين يطلعون عليه.

وأخرا وليس أخيرا أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الذي تحمل معي مشقة هذا العمل المتواضع.

الفصل التمهيدي

فكرة القومية العربية

I- ظهور فكرة القومية العربية

لقب المؤرخون والمفكرون القرن 19 الميلادي في أوروبا ب"عصر القوميات" بسبب تغلغل انتشار مبدأ القوميات في النفوس وتأثيره على العلاقات الدولية، وبسبب ما انجر عن هذا المبدأ من تغيرات على خريطة أوروبا، ثم على خريطة العالم فظهرت دول جديدة على أساس قومي، وتفتت إمبراطوريات كبرى كانت تتشكل من عدة قوميات[1].

وإذا كان الولاء للأمة فقط والنضال من أجل إقامة نموذج دولة الأمة هما أبرز المظاهر التي تعبر عن مدى تغلغل الفكرة القومية في أعماق الشعوب، فإن ذلك ليس معناه غياب مظاهر قومية في التاريخ الأوروبي والعالمي قبل القرن 19 الميلادي، إلا أن هذه المظاهر كانت كثيرا ما تختلط بولاءات أخرى غير الأمة كالدين والقبيلة والملك.. وغيرها من الولاءات، وينطبق هذا أيضا على العرب قبل وبعد ظهور الإسلام مما جعل البعض يرون أن فكرة القومية العربية موغلة في القدم، وينطلق في ذلك من العصبية القبلية التي تحدث عنها ابن خلدون، لكن لم يعرف العرب مصطلح الأمة إلا بعد ظهور الإسلام، وذلك بمفهوم الأخوة على أساس العقيدة الدينية[2].

وينطبق هذا أيضا على العرب قبل وبعد ظهور الإسلام، مما جعل البعض يرون أن فكرة القومية العربية موغلة في القدم، وينطلق في ذلك من العصبية القبلية التي تحدث عنها ابن خلدون، لكن لم يعرف العرب مصطلح الأمة إلا بعد ظهور الإسلام، وذلك بمفهوم الأخوة على أساس العقيدة الدينية[3].

---

[1]- اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الأصول والنظريات- منشورات ذات السلاسل، ط 4 الكويت، 1985، ص ص 102، 116.

[2]- بويد شيفر، القومية-عرض وتحليل-، تر جعفر حصباك وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة زنكين للطباعة والنشر، ببغداد، 1966 ص ص 221-222.

[3]- ليقين، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث (في لبنان – سوريا – مصر)، تر بشور السباعي، دار ابن خلدون ط1، بيروت، 1978، ص 130.

أما في أوروبا فقد اقتصر إطلاق مصطلح الأمة قبل القرن 19 الميلادي على الطبقات العليا الحاكمة فقط، أما الناس العاديون الذين ليس لهم دور في السياسة، فكان يطلق عليهم مصطلح Peuple في فرنسا، وVolk في ألمانيا، وهي تعني الشعب وأصبح مصطلح الأمة يطلق على كل الشعب في بداية القرن 19 الميلادي، بعدما أدركت الشعوب حقها في المشاركة في الحكم، واقتنعت بمبدأ "الشعب هو مصدر كل السلطات"، وقد انبثقت عن هذه الفكرة عدة إشكاليات وتساؤلات ومنها:من هو الشعب؟ ممن يتألف؟ كيف يمكن تمييز أفراد الشعب الذين لهم الحق المشاركة في الحكم عن الأجانب؟ فكان ذلك بداية التفكير في مفهوم الأمة ومقوماتها وخصائصها، مثلما بدأ أفراد كل أمة يشعرون بتميزهم عن أفراد أمة أخرى، فكانت تلك هي البداية الفعلية للفكرة القومية الحديثة، وللإجابة على تلك التساؤلات بدأت تظهر مختلف النظريات والأفكار القومية[1].

ويعتبر رجل القانون الإيطالي باسكال مانسيني Pascal mancini أول من حاول إعطاء تعريف علمي وقانوني شامل للأمة، وذلك في خطاب فتح كرسي القانون الدولي بجامعة توران الإيطالية في عام1851 قائلا أن "الأمة مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي[2].

واعتبر كثير من منظري القومية بأن هذا التعريف غير واف وناقص، وإذا ألقينا نظرة على الفكر القومي عموما، فإننا نلاحظ تباينا كبيرا بين مختلف النظريات القومية والتعريفات المعطاة للأمة، لأن منظر كل أمة يركز على عناصر دون أخرى من العناصر

[1]- عبد الكريم احمد، القومية والمذاهب السياسية، الهياة المصرية العامة لتأليف والنشر، القاهرة، 1970 ص40 .

[2]- فريدريك هرتز، القومية في التاريخ والسياسة، تر عبد الكريم احمد، مراجعة د- ابراهيم السقر، دار الكتاب العربي للطباعة والنش، القاهرة، د ت، ص 269.

التي يمكن أن تشكل الأمة، وينطلق كل منظر في ذلك من مصالح أمته وظروف نشأتها عبر التاريخ[1].

وقد استغلت بعض القوى الرأسمالية النزعة القومية في أوروبا بغرض استعمار البلدان الإفريقية والأسيوية، بحثا عن الأسواق والمواد الأولية ومناطق لاستثمار رؤوس الأموال، فتحول مبدأ القومية بذلك من مبدأ إيجابي يستهدف الاستقلال وتوحيد الأمة إلى مبدأ سلبي مقترن بعدوانية أمم أوروبية على أمم أخرى، حينذاك تتحول القومية من وجود قومي إلى نضال قومي وحركة قومية "[2].

وقد استغلت بعض القوى الرأسمالية النزعة القومية في أوروبا بغرض استعمار البلدان الإفريقية والأسيوية، بحثا عن الأسواق والمواد الأولية ومناطق لاستثمار رؤوس الأموال، فتحول مبدأ القومية بذلك من مبدأ إيجابي يستهدف الاستقلال وتوحيد الأمة إلى مبدأ سلبي مقترن بعدوانية أمم أوروبية على أمم أخرى، حينذاك تتحول القومية من وجود قومي إلى نضال قومي وحركة قومية "[3].

إلا أن معظم المؤرخين العرب اكتفوا فقط بترديد أطروحتين بشأن انبعاث القومية العربية الحديثة إحداها مصرية تقول بأن محمد علي هو أول من دعا إلى فكرة القومية وأخرى شامية وهي تردها إلى الحركة الفكرية في لبنان وسوريا، أي أن المسيحيين هناك هم روادها الأوائل وهم بذلك يتجاهلون أي دور للمغرب العربي والجزيرة العربية في التاريخ

[1]- عبد الكريم احمد، المرجع السابق، ص 151.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 1985، ص 17.

[3]- منيف الرزاز، فلسفة الحركة القومية ج II–التحدي الاستعماري– المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979 ص 25.

القومي، معتبرين هذه المناطق هوامش وإطرافا لهذا الوطن العربي الكبير، بالإضافة إلى عدم تبلور فكرة القومية وارتباطها الدائم بالإسلام كمضمون طبيعي لها[1].

وقد غاب عن أصحاب الطرح المصري، أن الدور الذي لعبته إصلاحات محمد علي في مصر في قيام النهضة، والتي ساهمت في تنبه الوعي القومي فيما بعد، وخاصة الذين رأوا ان هدفه من غزو الشام هو اقامة دولة عربية موحدة، متناسين فيما يبدو أن ما قام به في هذا المجال هو مجرد السعي لتحقيق طموحاته الشخصية[2].

ولكي تحقق أوروبا المسيحية أهدافها تلك، لا بد لها من اللعب على وتر القوميات، بضرب الأتراك والعرب بعضهم ببعض، باعتبارهما اكبر الأمم المشكلة للدولة العثمانية ولهذا الغرض لا بد من نشر الفكرة العربية في صفوف العرب، والفكرة الطورانية في صفوف الأتراك.

وما دام من الصعب نشر الفكرة القومية في صفوف المسلمين العرب، الذين يرفضون كل عصبية قومية بحكم الدين، فإنه من السهل نشرها في صفوف المسيحيين المستائين من الاضطهاد العثماني لهم، فوجد الأوربيون ضالتهم في الإرساليات التبشيرية المسيحية التي لعبت دورا حاسما في نشر فكرة القومية في صفوف المسيحيين، فكان جل رواد الفكرة القومية في المشرق العربي من خريجي هذه المدارس كناصيف اليازجي وبطرس البستاني...وغيرهم[3].

---

[1]- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1939-1798)، تر كريم عزقول دار النهار للنشر، ط 3 بيروت، 1972، ص73.

[2]- زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية – مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية –التركية، دار النهار للنشر، ط2، بيروت، 1972، ص 188.

[3]- لوثروب ستودارد، حاضر العالم الاسلامي، المجلد الثاني ج III، تعليقات شكيب ارسلان، تر عجاج نويهض، دار الفكر، ط 4، بيروت، 1973، ص ص 208، 342.

وأنشأ الكثير من المسيحيين الموالين لباريس أو لندن صحفا هدفها نشر الأفكار الموالية لهذين البلدين مغلفة بفكرة القومية العربية، وهذا ما جعل أحد القوميين العرب المسلمين وهو محمد جميل بيهم يعلق على ذلك بقوله" وبقى صوت العروبة يتصاعد حينا بعد حين، ومداه على الأكثر الخلافة، وأنها للعرب دون آل عثمان، ومن المؤسف أن هذا الصوت لم يكن يصدر في أوروبا عن قوميين مخلصين استندوا إلى منظمات كما فعل الأرمن، بل كان مصدره أما موتورين أو وصوليين استغلوا هذه الحركة في سبيل بلوغ منافعهم الخاصة[1].

إن الدور الذي أنيط بالمسيحيين العرب الذين درسوا في مدارس الإرساليات التبشيرية في نشر فكرة عداء الأتراك استلزم إنشاء الكثير من الجمعيات العلمية والثقافية تضم المسيحين والمسلمين، وقد اعتبر الكثير من المؤرخين ظهور هذه الجمعيات نقطة بداية اليقظة القومية السياسية العربية بسبب دعوتها الصريحة للاستقلال عن الدولة العثمانية[2].

أما المسلمون في الشام فقد بقوا من دعاة الإصلاح في إطار الرابطة العثمانية، وكانوا أكثر وعيا بالتحدي الاستعماري عكس المسيحيين الذين عملوا على نشر فكرة العداء، ويلاحظ غياب فكرة الانفصال عن الجمعيات العربية الإسلامية، ولو أنها كانت تدعو إلى الإصلاح وحماية المميزات والخصائص العربية، لأنها في نظرها هي الوسيلة المثلى لإحياء الروح الدينية في النفوس التي يمكن أن تلعب دورا في الحفاظ على الإمبراطورية الإسلامية ومواجهة الخطر الاستعماري[3].

---

[1]- وجيه الكوثراني، الاتجاهات الاجتماعية – السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (1860-1920)، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982، ص 25.

[2]- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية-دراسة في الهوية والوعي-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 بيروت، 1884، ص ص 150 – 151.

[3]- عبد الرحمان الكواكبي، ام القرى، مطبوعات مكتبة الشرق، حلب، 1958، ص234.

ويتخطى جمال الدين الأفغاني كل هذه الأفكار فيدعو السلطان العثماني –عبد الحميد الثاني–إلى تعريب الأتراك لأن العربية لغة الدين، وبذلك سيحفظ وحدة الإمبراطورية ويعطي لها قوة ومناعة تواجه بها الأخطار المحدقة بها وبالمسلمين جميعا[1].

وقد لعبت فكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني دورا لا يستهان به في إبعاد العرب المسلمين عن أية فكرة قومية انفصالية، مثلما علق العرب المسلمون وبعض المسيحيين الداعين للإصلاح في إطار الرابطة العثمانية كل آمالهم على جمعية الإتحاد والترقي ومبادئها المتمثلة في الحرية والإخاء والمساواة بين جميع الأمم المشكلة للدولة العثمانية، وقد أيدها القومين العرب ناضلوا في صفوفها، لكن خابت آمال القوميين العرب بعد عام 1909 بسبب مناقضة جمعية الإتحاد والترقي للمبادئ التي كانت تدعو إليها، وممارستها سياسة تتريك بشعة ضد العرب[2].

وكان الكثير من العرب ينتظرون من المؤتمر العربي بباريس في عام 1913 التوصل إلى حل عادل للقضية العربية، وإعطاء الإدارة اللامركزية للبلاد العربية في إطار الرابطة العثمانية، لكن تصلب حكومة الآستانة، ونقض وعودها للمثلين العرب، دفع هؤلاء لليأس من أي إصلاح وبضرورة الانفصال عن الدولة العثمانية [3].

ولم يستعمل العرب المسلمون قبل عام 1908 مصطلح الامة بالمفهوم الاوروبي الحديث بسبب غلبة مفهوم الأمة الإسلامية على الأذهان، وإيمانهم بالرابطة العثمانية، ويمكن أن نستثني عبد الرحمان الكواكبي من هؤلاء، ويعتبر أول مفكر إسلامي يبعد عنصر

[1]– سعدون حمادي...واخرون، دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 1984، ص ص 114 – 115.

[2]– ليقين، المرجع السابق، ص 163.

[3]– عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص 251، 262.

الدين عن مفهوم الأمة فيصفها بجماعة من الناس المرتبطين فيما بينهم بوحدة العنصر واللغة والوطن والحقوق[1].

لكن بعد تنامي الوعي القومي في صفوف العرب المسلمين والمسيحيين واستغلال السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية بهدف إضعاف النزعات القومية في دولته، بالإضافة إلى سياسة التتريك المناهضة للعرب، استبعد معظم المفكرين العرب عنصر الدين عن مفهومهم للأمة، فيركز المصلح الإسلامي صلاح الدين القاسمي على اللغة كمقوم أساسي للأمة[2].

يذهب عمر فاخوري إلى استبعاد الدين من عناصر الأمة، ويدعو العرب إلى اتخاذ القومية العربية كدين جديد ووسيلة لنهوض العرب، أما عبد الحميد الزهراوي فيقول في خطابه أمام مؤتمر باريس في عام 1913 " **إن العرب عنصر مهم، ويتميز بوحدة لغته وعاداته ومصالحه وميوله مما يجعلهم قومية لها حقوق ومطالب خاصة بها** "ونستنتج مما سبق مدى الضرر الذي ألحقته حكومة الأستانة بفكرة الجامعة الإسلامية والرابطة الدينية بل وحتى بالدين الإسلامي بذاته، عندما قمعت العرب ومنعتهم من حقوقهم القومية، مما جعل عمر فاخوري يصل بثورته إلى دعوة العرب لاستبدال الدين الإسلامي بدين جديد هو القومية كما رأينا آنفا[3].

وقد حاول عبد الغني العريسي أن يبرهن بأن العرب أمة لذاتها، ويستند إلى مختلف النظريات القومية الأوروبية فيرى أن العرب تجمعهم وحدة اللغة ووحدة عنصر ووحدة تاريخ

---

[1]- وليد قزيها، فكرة الوحدة العربية في مطلع القرن العشرين، **مجلة المستقبل العربي**، الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 4، نوفمبر، 1978 ص ص 9 – 10.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، صص222، 255.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 140.

ووحدة عادات ووحدة مطمح سياسي، فحق العرب بعد هذا البيان أن يكون لهم رأي كل علماء السياسة دون استثناء حق جماعة، حق شعب، حق أمة "[1].

ويعتبر ساطع الحصري من أوائل المفكرين العرب الذين اعتبروا مصر والمغرب العربي جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية، ولعلى ذلك يعود إلى أنه واجه تحديا استعماريا أوروبيا عكس الرواد الأوائل في الشام الذين واجهوا التحدي التركي، لكن عكس كل هؤلاء الرواد فانه هو أول مفكر عربي حاول التنظير للحركة القومية العربية بالاستناد إلى أسس علمية ووقائع وأحداث تاريخية، وقد كرس كل إنتاجه الفكري بعد الحرب العالمية الأولى للقومية العربية، فأجاب على مقوماتها الأساسية، وكيفية مواجهة تحديات التجزئة والتخلف والاستعمار الأوروبي، فكان بحق فيلسوف القومية العربية، ولا يمكن لنا فهم الحصري القومي وتحليله تحليلا وافيا، بمعزل عن حياته وشخصيته والأوضاع العامة للوطن العربي في عصره، بالإضافة إلى مدى اتصاله بالفكر القومي الأوروبي والتراث العربي الإسلامي[2].

II- الاوضاع العامة في الوطن العربي (1918-1968)

1-الوضع السياسي

مر التاريخ السياسي للوطن العربي منذ الحرب العالمية الأولى حتى النكسة في عام 1967 بمرحلتين أساسيتين، مرحلة أولى تمتد منذ نهاية الحربية العالمية الأولى حتى نكبة فلسطين وتميز بنضال من أجل تحرير الأرض العربية من الاستعمار الأوروبي أما المرحلة الثانية فتبدأ بنكبة فلسطين 1948، وما انجر عنها من غضب شعبي ضد الأنظمة العربية محملة إياها مسؤولية ضياعها، وأدى كل ذلك إلى ظهور أنظمة ثورية جديدة في العديد من البلدان العربية التي قادت نضالا مريرا ضد الصهيونية والاستعمار والأنظمة المحافظة التي

[1]- عبد الغني العريسي، مختارات المفيد، قدم لها ناجي علوش، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1981 ص 107.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، المصدر السابق، ص 141.

اعتبرتها أنظمة عملية للاستعمار ومعرقلة لمسيرة الوحدة العربية والتحرر السياسي والاجتماعي للعرب.

أ- المرحلة الاولى (1918-1948)

يبدو الحصري قد واجه صدمة عنيفة بعد عودته إلى سوريا في 1919، كغيره من القوميين العرب الذين اكتشفوا بعد الحرب العالمية الأولى أنهم كانوا مجرد أداة استعملتها بريطانيا وفرنسا لتحقيق أهدافها الاستعمارية في المنطقة العربية، فبمجرد انهزام الدولة العثمانية على يد البريطانيين نكثت بريطانيا الوعود التي قطعتها لقائد الثورة العربية الشريف حسين[1].

والمتمثلة في ضمان الاستقلال للعرب وإقامة مملكة عربية متحدة، فبدل ذلك قسمت منطقة المشرق العربي بينها وبين فرنسا بموجب معاهدة سايكس بيكو السرية، ثم معاهدة سان ريمو بإيطاليا التي وضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق وشرقي الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني وفي الوقت نفسه شرع المندوب البريطاني في فلسطين صمويل هربرت في تنفيذ وعد بلفور الذي أعطته بريطانيا للحركة الصهيونية والمتمثل في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[2].

أما بريطانيا التي كانت تبدي تفهمها لاماني العرب القومية فإنها فضلت الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية رغم التعدد الطائفي والعرقي فيها، ويبدو أن هدفها من ذلك هو السيطرة على البترول الذي تم اكتشافه في هذا البلد عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى كما

[1]- محمد بديع شريف... واخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، دار اقرأ، ط 2، بيروت، 1984، ص ص 111، 158.

[2]- محمد بديع شريف...و اخرون، المرجع السابق، ص 185.

مارست في الخليج العربي سياسة مناقضة تماما لسياستها في العراق وشرقي الأردن وعملت أيضا على ردع تطلعات السعودية للسيطرة على كل منطقة الخليج العربي[1].

وقد عرف الوطن العربي طيلة هذه المرحلة عدة ثورات وانتفاضات ضد التواجد الاستعماري، إلا أن هذه الثورات لم تحقق في غالب الأحيان إلا مكتسبات هزيلة مقارنة بالتضحيات الجسيمة للشعب، ومشاكل عويصة يصعب التغلب عليها كالتجزئة والتخلف والتبعية الاقتصادية والثقافية، وزادها تعقيدا وجود أنظمة معادية لتطلعات الشعب في العدالة والتحرر الفعلي الكامل، وطبقات الحاكمة لها النفوذ وتحمي مصالحها في حالة استقلال هذه البلدان[2].

ولم تكتف البلاد المستعمرة للوطن العربي بخلق أنظمة موالية لها في البلاد العربية بل كرست التجزئة العربية أكثر مما كانت عليه رغم الوحدة اللغوية والتاريخية والطبيعية وذلك بإرسائها مؤسسات ودعائم الدولة القطرية ووضعها حدودا إقليمية مصطنعة أصبحت فيما بعد قنابل موقوتة بين مختلف الأقطار العربية[3].

وكانت جل هذه الحركات الاستقلالية القطرية تؤمن بأنه بعد تحرير أوطانها ستعمل جاهدة من اجل الوحدة العربية، لكن هذه الأحلام تبخرت بعد الاستقلال بسبب استناد الدولة القطرية الناشئة على قاعدة وقوى اجتماعية استفادت أكثر من التجزئة فأصبحت تعرقل مشروع الوحدة العربية بكل قواها، وبمرور الزمن ترسخت في أذهان الشعب فكرة الوطنية

[1]- حمادي وآخرون، المرجع السابق، ص 358.

[2]- جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي (دراسة في العلاقات السياسية العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت، 1983، ص ص 64-65.

[3]- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر (بحث استطلاعي اجتماعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت 1986 ص 180.

الضيقة بدل الفكرة القومية وضرورة الدفاع عن الوطن أو القطر ضد كل محاولات دمجه في وطن كبير هو الوطن العربي[1].

وقد اتسمت نتيجة لذلك العلاقات بين الدولة العربية بالصراع والتنازع بعد الاستقلال، خاصة بين الدول الكبرى الثلاثة في المشرق العربي وهي مصر والعراق والسعودية، التي كثيرا ما كان يدور صراعها خول الزعامة الإقليمية، فكانت السعودية ومصر مثلا تعارض كل المشاريع الوحدوية التي يطرحها الهاشميون في العراق وشرق الأردن مثل معارضتهما لمشروع سوريا الكبرى، ومشروع الهلال الخصيب[2].

ولم تخل العلاقات العربية من تأثير الصراعات العالمية عليها لان المنطقة العربية تعتبر من أكثر المناطق تأثرا بتلك الصراعات بسبب أهميتها الإستراتيجية وسيطرتها على طرق المواصلات واحتوائها على 95 %من موارد أوروبا وأمريكا للنفط، وامتلاك العرب قيما حضارية إسلامية قوية، وقد عرف الوطن العربي صراعا عنيفا بين فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا قبل وإثناء الحرب العالمية الثانية[3].

وكانت تصريحات إيدن هي نقطة البداية في مشروع تأسيس جامعة الدول العربية في 1945، هذه الجامعة التي لم تكن إلا شكلا من أشكال التعاون والتنسيق بين الأقطار العربية التي أسستها مع إبقاء الاستقلال لكل قطر. وقد أيد الحصري إنشاء جامعة الدول العربية واعتبرها خطوة لتحقيق الوحدة العربية، لكنه تراجع عن هذا الموقف معترفا بان جامعة الدول العربية أثرت تأثيرا سلبيا على فكرة القومية العربية، ويعتبر قيام دولة إسرائيل في 1948 أول تحد واجهته الدول المشكلة لجامعة الدول العربية، حيث عجزت سبعة جيوش عربية من

[1]- جميل مطر وعلي الدين هلال، المرجع السابق، ص 66.

[2]- باتريك سيل، الصراع على سورية-دراسة للسياسة العربية (1945-1958)، تر سمير عبده ومحمود فلاحة، دار الكلمة للنشر، ط 1، بيروت، 1980، ص ص 27-28.

[3]- نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدا غدا (حقائق واسرار عن ثورة رشيد الكيلاني وثورة 1958)، منشور على حلقات في صحيفة القبس الدولي الكويتية، عدد 28، اوت 1987، ص 5.

واجهة العصابة الصهيونية في فلسطين وتلقت هزيمة نكراء أمامها، وقد حملت الشعوب العربية هذه الأنظمة العربية القائمة مسؤولية ضياع فلسطين، كما اكتشف الضباط الشباب الذين شاركوا في الحرب العربية الإسرائيلية مدى زيف الحكام العرب وتبعيتهم للقوى الاستعمارية[1].

ب- المرحلة الثانية (1948-1968)

عرف الوطن العربي في عقدي الخمسينات والستينات الكثير من الانقلاب العسكرية قادها ضباط ينحدرون من الطبقات الدنيا والمتوسطة. وتعتبر ظاهرة الانقلابات العسكرية ظاهرة جديدة لم يعرفها الوطن العربي قبل نكبة 1948 حيث لم يسجل إلا انقلابي 1936و 194 اللذان حدثا في العراق. ولعبت هذه الأنظمة العربية الجديدة دورا بارزا في دعم المد التحرري العربي، حيث قدم عبد الناصر دعما عسكريا وماليا وسياسيا ودبلوماسيا وإعلاميا عن طريق إذاعة صوت العرب للثورة الجزائرية مما جعل فرنسا الاستعمارية تشارك في العدوان الثلاثي على مصر في 1956 بعد تأميمه قناة السويس وهدفها من ذلك هو القضاء على الثورة الجزائرية [2].

وكان من آثار العدوان الثلاثي على مصر في 1956 الانهيار التام للنفوذ البريطاني في المنطقة العربية وأصبح جمال عبد الناصر زعيما دون منازع للقومية العربية حيث تعلقت قلوب الشعوب العربية به، فأصبح يشبه بأسمارك العرب ومصر ببروسيا العرب. فخشيت القوى الغربية من تزايد نفوذه في الوطن العربي وإضعاف مكانه عملاء الغرب في المنطقة،

[1]- علي المحافظة وآخرون، جامعة الدول العربية – الواقع والطموح –، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 بيروت، 1983، ص 39

[2]- محمد حسنين هيكل، قصة السويس– آخر المعارك في عصر العمالقة –، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1 بيروت، 1977، ص 47.

فشرعت منذ تلك الفترة في التخطيط لإسقاط نظامه الثوري إنقاذا لمصالح الغرب في الوطن العربي [1].

وكرد فعل على الوحدة المصرية –السورية في 1958 دعت بعض الأنظمة العربية المحافظة والمعادية لعبد الناصر إلى مشاريع وحدوية مشبوهة، ومنها مشروع الاتحاد الهاشمي بين الأردن والعراق الذي قضت عليه ثورة تموز العراقية في 1958[2].

ومثلما حاول النظام الملكي في المغرب الأقصى إبعاد التأثير الناصري على منطقة المغرب العربي فدعا علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي إلى مؤتمر في طنجة عام 1958 لتدارس قضايا وحدة المغرب العربي [3].

وتدخل كل هذه المشاريع الوحدوية المشبوهة في إطار الصراع بين الأنظمة العربية الجديدة بزعامة عبد الناصر التي حملت شعار الثورة العربية (الوحدة، الحرية، الاشتراكية) من جهة، والأنظمة المحافظة التقليدية بزعامة آل سعود من جهة أخرى، ويرى د احمد يوسف احمد بأن هذه الصراعات العربية– العربية في الخمسينات والستينات قد لعبت دورا ايجابيا لأنها –حسب رأيه– كانت صراعات بين قوى تدعو إلى الثورة والتغيير والتحرر ضد قوى محافظة وتقليدية وعميلة للاستعمار، وذلك عكس الصراعات الموجودة من قبل والتي لعبت في الواقع دور استنزافي للقوة العربية [4].

---

[1]– علي المحافظة وآخرون، المرجع السابق، ص 38.

[2]– محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، دار الكلمة للنشر، ط 2، بيروت، 1983، ص ص51، 53.

[3]– احمد يوسف احمد، الصراعات العربية (1945–1981)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 1988، ص ص 112، 120.

[4]– جلال احمد أمين، المشرق العربي والغرب – بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية –، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت، 1981، ص 190.

وعلينا أن نشير إلى أن الصراع الإيديولوجي العربي قد وصل إلى حد الصدام المسلح في اليمن الشمالي في 1963 بسبب الثورة المدعومة من عبد الناصر ضد حكم الإمام البدر المدعوم من السعودية التي خشيت من امتداد ريح الثورة ونفوذ عبد الناصر إلى الخليج العربي، وقد كان هذا الصدام المسلح فرصة لإسرائيل ومن ورائها الغرب لضرب نظام الثوري في مصر، فكانت نكسة 1967، وبذلك تخلص الغرب الاستعماري من المد الناصري بعد انهزام عبد الناصر أمام إسرائيل[1].

2- الوضع الاقتصادي:

يتفق مؤرخوا الولايات العربية في العهد العثماني على أن معظم التبادلات التجارية والاقتصادية كانت تتم بداخل هذه الولايات العثمانية، لكن تغير الوضع بعد التغلغل السياسي والاقتصادي والثقافي للاستعمار الأوروبي في هذه البلاد العربية حيث تدنى مستوى التبادل التجاري بين الأقطار العربية، في الذي كانت تتزايد فيه نسبة التبادل التجاري العربي مع أوروبا، فتكرست بذلك التجزئة الاقتصادية العربية بعد التجزئة السياسية، وضعف بسبب ذلك الاحتكاك والاتصال بين العرب بسبب توجيه وسائل النقل والمواصلات العربية نحو أوروبا، وإبقاء طرق المواصلات بين الأقطار العربية متخلفة وبدائية[2].

ونفسر هذا الوضع الاقتصادي العربي الجديد بارتباط مصالح المتعاملين الاقتصاديين العرب بالاقتصاد الرأسمالي الأوروبي، فنجد مثلا الملاك الكبار للأرض يستثمرون أموالهم في المحاصيل الزراعية التجارية التي تصدر إلى أوروبا على حساب المواد الغذائية التي يحتاجها الإنسان العربي، وكذلك نجد تجارا انحصر دورهم في تسويق المنتجات الأوروبية

[1]- جلال احمد أمين، المرجع السابق، ص 190.

[2]- وليد قزيها وآخرون، الحياة الفكرية في المشرق العربي (1890 – 1939)، مركز دراسات الوحدة العربية ط 1، بيروت، 1983 ص 176.

في السوق العربية الواسعة جدا، دون أن ننسى الصادرات البترولية العربية الكبيرة إلى أوروبا وأمريكا[1].

وهكذا أخضعت الأقطار العربية للتقسيم الدولي للعمل فأصبحت تختص في تصدير المواد الأولية إلى أوروبا بأثمان بخسة وإعادة شرائها مواد مصنعة بأثمان باهظة من أوروبا، فتكسرت بذلك التبعية الاقتصادية العربية المطلقة لأوروبا الرأسمالية. لكن لا يحق لنا الاكتفاء بإلقاء تبعات ضعف الصناعة العربية على البلاد الاستعمارية، لان النشاط الصناعي بقي حتى بعد الاستقلال بنسبة ضئيلة جدا مقارنة بالنشاط التجاري الذي كان يمثل اكبر نسبة من النشاط الاقتصادي العربي[2].

وربما يعود تشكل هذه العقلية التجارية للإنسان العربي في نظرنا إلى الضعف التربوي أيضا خاصة التربية الدينية عبر التاريخ العربي التي يبدو أنها كانت كثيرا ما تركز على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على التجارة أكثر من الآيات التي تحث على التصنيع والاكتفاء الذاتي[3].

وما يؤكد لنا غياب البعد الصناعي في العقلية العربية الحديثة هو عدم تناول الباحثين والدارسين إشكالية هامة في التاريخ العربي وهي لماذا لم يتحول العرب من الرأسمالية التجارية التي سادت في العصر العباسي إلى رأسمالية صناعية، وحتى دعاة الوحدة العربية، ومنهم الحصري فلم تكن لهم القدرة على الإدراك بان قيام رأسمالية صناعية عربية قادرة على منافسة المنتجات الأوروبية يمكن أن يكون العامل الأساسي في تحقيق الوحدة القومية، لأن لو قامت الرأسمالية الصناعية العربية، لتحتم عليها الضغط من أجل الوحدة العربية بهدف

[1]- محمود محمود الإمام، التكامل الاقتصادي العربي بين عقيدين، مجلة المستقبل العربي، الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد 138، أوت 1990، ص 43.

[2]- عبد الحميد إبراهيمي، أبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ط 1، بيروت، 1980، ص ص 109، 111.

[3]- محمود محمود الإمام، المرجع السابق، ص 43.

توسيع السوق المحلية لمنتوجاتها مثلما حدث في أوروبا بعدما قضت الطبقة الرأسمالية أو البورجوازية على الإقطاع وسعت إلى توسيع السوق المحلية بالعمل من اجل الوحدة القومية[1].

ولم يقتصر غياب بعد النظر لدى المفكرين القوميين العرب، ومنهم الحصري عند هذا الحد بل لم يقوموا حتى بدورهم التثقيفي والتوجيهي والتربوي، فيوجهوا أصحاب الأموال وكبار التجار العرب إلى استثمار أموالهم في الصناعة، بدل إفراط هؤلاء الرأسماليون التجاريون في النمط الاستهلاكي الغربي الذي انتقل عن طريقهم إلى معظم شرائح المجتمع العربي، فوسعوا بذلك سوق المنتجات الغربية [2].

ولكن لا ينكر الباحث بأن الأنظمة العربية الجديدة والتي رفعت شعارات الثورة العربية (الوحدة، الحرية، الاشتراكية) قد بذلت مجهودات معتبرة في مجال التصنيع خاصة البترولية منها لمنافسة الأنظمة الجديدة المعادية لها، إلا أن الدارسون متفقون على فشل تلك المشاريع الصناعية، بل وحملوها مسؤولية التبعية الغذائية للوطن العربي[3].

3- الحياة الفكرية والاجتماعية:

لقد تأثرت الحياة الفكرية في الوطن العربي بالصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة فيه، مثلما تأثرت الأفكار بدورها في تغذية تلك الصراعات نظرا للعلاقة الجدلية بين الفكر والأوضاع العامة، وتغلب على الفكر العربي المعاصر العاطفة والذاتية وخدمة المصلح الخاصة وخدمة النظام القائم، والتعصب للأيديولوجية، والقطيعة التامة بين مختلف التيارات الفكرية المتناقضة، مما أضفى عليه انعدام الرؤية الموضوعية للمشاكل التي يعاني منها الوطن العربي وسعى كل طرف إلى البحث في الواقع والتاريخ العربي والعالمي

[1]- عبد الحميد إبراهيمي، المرجع السابق، ص 111.

[2]- محمد محمود الإمام، المرجع السابق، ص43.

[3]- محمد محمود إبراهيمي، المرجع السابق، ص 112.

عن الأدلة التي تدعم أيديولوجيته ونظريته متجاهلا الوقائع الأخرى ولا نستثني ساطع الحصري من هذه العلل الفكرية[1].

وقد عرف الوطن العربي صراعا حادا بين عدة تيارات فكرية مثلا: دعاة التغريب والإقليميون بتياريهما الإسلامي والشيوعي، والقوميون والاشتراكيون واللبراليون والرأسماليون، بالإضافة إلى دعاه إحياء العامية ودعاة الحفاظ على اللغة العربية الفصحى ففي المجال اللغوي، فبالرغم من أن 94 % من سكان الوطن العربي يتحدثون العربية، فان هناك أقليات لغوية وعرقية، إلا أنها في نظرنا لم تشكل خطرا على الوحدة اللغوية للوطن العربي مثل الخطر الذي شكله دعاة إحلال العامية مكان الفصحى، بدعوى عدم صلاحية الفصحى لمسايرة الحضارة الحديثة والعلوم الجديدة، وهدف هؤلاء هو ضرب التراث العربي الإسلامي وإحلال التراث الغربي محله، مثلما تستهدف هذه الدعوة التجزئة النهائية للوطن العربي الذي بقي على الأقل موحدا على الصعيد اللغوي[2].

ويبدو أن الغرب الاستعماري كان وراء الدعوة للعامية حيث جمع بعض المستشرقين الاستعماريين بعض المفردات العامية في كل قطر على شكل معاجم لغوية لضرب الفصحى ودعا بعضهم إلى هجر الحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني، ومما زاد في تشجيع الظاهرة العامية استعمالها في الأفلام والأغاني بدعوى إيصال الفكرة إلى الجمهور الذي انتشرت في صفوفه العامية على حساب الفصحى في العهد العثماني[3].

ولكن هذه الدعوات الإقليمية للغة والأدب لم تصمد كثيرا بسبب محدودية انتشار الأدب المكتوب بالعامية، وانتشار التعليم بالفصحى وتطور لغة الكتابة الأدبية والصحفية وتقليص الهوة بين الفصحى الكلاسيكية والعامية بتطوير اللغة العربية الفصحى، مثلما كان للمفكرين

[1]- محمد كامل ليلة، المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966، ص 572.

[2]- محمد كامل ليلة، المرجع السابق، ص 572.

[3]- أنور الرفاعي وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، دار الفكر العربي، د ت، د م، ص 58.

القوميين دور كبير في صد هذه الدعوات، وعلى رأسهم ساطع الحصري الذي ناقش هذه الدعوات والأفكار ودحضها بالدليل والبرهان في إطار حملته ضد فكرة إقليمية مهما كانت، ونعتقد بان الدعاة للعامية ستظل تشكل خطرا على الوحدة اللغوية للوطن العربي ما دام لم يتم القضاء النهائي على الأمية[1].

ومن جهة أخرى تتغذى الدعوات الإقليمية من التركيز على خصائص ومميزات بعض المناطق العربية ذات الحضارات العريقة، وقد كان للبلاد المستعمرة دور لا يستهان به في إحياء تلك الخصائص والمميزات، فكل علماء الآثار الأوروبيون هم السباقون إلى البحث عن الآثار القديمة بدعوى البحث العلمي، وكونت فرنسا لجانا مختصة فيكل من دمشق وبيروت لكتابة تاريخ الشام في 1920 بالفصل بين تاريخ البلدين (سوريا ولبنان)[2].

أما في المغرب العربي فقد نعت المؤرخون الاستعماريون الفتوحات الإسلامية بالاستعمار ووصفوا الفترة الإسلامية بالمظلمة عكس العهد الروماني ونعتقد أن الغرب الاستعماري لم يستغل فقط هذه الخصوصيات والمميزات لبعض المناطق العربية لضرب وحدة الأمة العربية، إلا أنه وجد فراغا مذهلا في مجال البحث في تاريخ آثار هذه المنطقة خاصة في تاريخ ما قبل الإسلام، بل ذهب بعضهم إلى حد اعتبار تاريخ هذه الأقطار قبل الإسلام جاهلية ولا فائدة ترجى من البحث فيها متناسين الآيات القرآنية التي تحث على السير في الأرض ومعرفة سير الأولين، ولعل المفكر القومية الحصري قد أدرك ذلك مما جعله يولي اهتماما كبيرا للآثار العربية، فظهرت نتيجة لكل ذلك عدة اتجاهات ودعوات إقليمية في الوطن العربية [3].

---

[1]- أنور العقاد، دراسات في المجتمع العربي، مطبوعات مكتبة الشرق، ط 2، حلب، 1968/1969صص 131، 135.

[2]- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج II، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 3 بيروت، 1972، ص ص 138 – 139.

[3] -Gautier,le passé de l'Afrique du nord-les siècles obscurs-Nouvelle édition Paris,Payot,1952, p6

وأسس أنطوان سعادة الحزب القومي السوري في1932 كتجسيد سياسي لفكرة القومية السورية القائلة بان سوريا الكبرى امة منفصلة عن الأمة العربية لها مميزاتها الخاصة كالوحدة الطبيعية الجغرافية، ونجد داخل هذا الكيان السوري الطبيعي فكرة القومية اللبنانية أيضا والقائلة بان لبنان امة لوحدها مسيحية ومتوسطية ومرتبطة بدول أوروبا اللاتينية، وإنها ملجأ المسيحيين وسط محيط من الإسلام والقومية العربية ويدعو إلى هذه الفكرة الكثير من الكتاب المتأثرين بالفكر الأوروبي[1].

ويمثل فكرة القومية اللبنانية على الصعيد الحزبي حزب الكتائب الذي أسسه بيار الجميل في1933 متأثرا في تنظيمه بالحزب النازي الألماني، وكان يصدر جريدة العمل التي خاضت نقاشا حادا مع المفكر الحصري. ويلاحظ الباحث في فكر الحصري قد خط صفحات كثيرة جدا في الرد على الاتجاهات الأربعة [2].

وهذه الفكرة هي نفس فكرة الشيوعيين في البلاد العربية، فمثلا لم يعترفوا بوجود أمة جزائرية في التاريخ بل قالوا هي أمة في طور التكوين، ومن الأخطار التي هددت فكرة القومية العربية في المغرب العربي هو النزعة البربرية التي شجعها الاستعمار الفرنسي بواسطة الآباء البيض، ويرى أصحاب هذه النزعة بأن العرب استعماريون ودخلاء على المنطقة مثلهم مثل الرومان والو ندال والأتراك .... وغيرهم [3].

وتعتبر مسألة الأقليات في الوطن العربي من أشد المسائل حساسية، مما جعل الفكر القومي العربي عاجز حتى الآن على إيجاد حل يرضي الأقليات العرقية في الوطن العربي ويكتسبها إلى جانبه، وذلك عكس مسألة الأقليات الدينية التي كانت وراء طرح الكثير من المفكرين القوميين العرب ومنهم الحصري لفكرة علمنة الدولة القومية بفصل الدولة عن

[1]- البرت الحوراني، المرجع السابق، ص ص 377، 380.

[2]- ألبرت الحوراني، المرجع السابق، ص 380.

[3]- عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 31.

الإسلام من المسحيين العرب، مما جعل هؤلاء المفكرين يفصلون القومية العربية عن مضمونها الطبيعي وهو الإسلام، ويستبدله بعضهم كالبعثيين والناصريين بالاشتراكية العربية[1].

ونشير بأن حركة الإخوان المسلمين في سورية قد حرضت على مظاهرات ضد الحصري عندما كان ينظم معارف سورية بعد الحرب العالمية الثانية، لكننا لم نسجل له نقاشا فكريا مباشرا وخاصا مع منظري حركة الإخوان المسلمين باستثناء نقاشه لآراء بعض علماء الدين وبعض الدعاة الإسلاميين[2].

وقد قام في عصر الحصري نقاشا فكريا حادا بين القوميين من جهة وأصحاب النزعات الإقليمية والأممية كالتيار الإسلامي والشيوعيين من جهة أخرى حول مسالة القومية العربية، وقد كان الشيوعيون كثيرا ما يستغلون المسألة الاجتماعية لنشر وتمرير أفكارهم، مما دفع ببعض القوميين إلى طرح المسألة الاجتماعية في فكرهم أيضا كالناصرين والبعثيين الذين ربطوا القومية العربية بالاشتراكية لسحب البساط من تحت إقدام الشيوعيين، وانتقد هذا التيار القومي الجديد التيار القومي التقليدي الذي يمثله الحصري ومفكرون آخرون على الصعيد الفكري. وعصبة العمل القومي وبعض التنظيمات الصغيرة على الصعيد الحزبي بسبب إهمالهم المسألة الاجتماعية في فكرهم القومي وبرامجهم [3].

[1]- الحكم دروزة، الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، دار الفجر الجديدة للطباعة والنشر، ط 3، بيروت 1963، ص 96.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 1985، ص 71.

[3]- باسل الكبيسي، حركة القومين العرب، تعريب نادرة الخضيري الكبيسي، مؤسس الابحاث العربية، ط 4 بيروت، 1985، ص ص 101، 115.

الفصل الأول

حياة ساطع الحصري

المبحث الأول: مولده ونشأته

ولد ساطع الحصري بن محمد هلال بن السيد بن مصطفى الحصري بصنعاء باليمن في 1879، وأمه هي فاطمة بنت عبد الرحمان الحنيفي، وتنتمي عائلتا الحصري والحنيفي إلى طبقة الوجهاء والأعيان، وهما عائلتان مشهورتان في حلب بسورية. ولقد سمحت له وظيفة والده في سلك القضاء بالتنقل الكثير من منطقة إلى أخرى. ففي خلال اثنتا عشر سنة انتقل بين اسطنبول واضنة وأنقرة وطرابلس الغرب وصنعاء وقونية، وسمحت له كل هذه الرحلات باكتساب ميزة سعة الاطلاع. وقد عومل أثناء طفولته معاملة السيد الصغير على غرار إخوته الأربعة عشر، حيث لا يخفي الحصري بأن لهم ثلاثة جواري وحاشية من الخدم يتنقلون معهم أينما ذهبوا[1].

وسمحت المكانة الاجتماعية للحصري من أن يتلقى تعليما راقيا رغم عدم التحاقه بمدرسة ابتدائية معينة بسبب تنقلات أبيه الكثيرة ولقد صرح لويليام كليفلاند في 1966 بانه كان يدرس بالتركية باعتبارها لغته الأولى، مثلما تعلم الفرنسية في البيت على يد أخويه الأكبر بشير مجدي وبديع نوري الذي اغتيل مع قائد حامية البصرة فريد بك على يد احد رجالات المناضل القومي العربي طالب النقيب[2].

ودرس الحصري سبع سنوات في المدرسة السلطانية بإسطنبول التي لا يؤمها إلا أبناء الطبقات العليا وتخرج منها سنة 1900م كمختص في العلوم الإدارية والسياسية رغم انه لا يبدي رغبة في الوظيف الإداري، وكان مولع أكثر بالعلوم الرياضية والطبيعية والهندسة التحليلية، واظهر مقدرة فائقة في ذلك، ولقد ابدي منذ شبابه اهتماما بالمجال التربوي، فنشر وهو طالب في المدرسة السلطانية بإسطنبول الكثير من المقالات التي ينتقد فيها كتب العلوم

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، الاعمال القومية لساطع الحصري، القسم الاول، الملحق الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، اكتوبر، 1985، ص 100.

[2]- محمد برج عبد الرحمان، ساطع الحصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969، ص 14.

الطبيعية المقررة للمدارس الإعدادية والثانوية، واحتك الحصري في المدرسة السلطانية بأفكار الثورة الفرنسية عن طريق أساتذتها، وهناك اطلع على الكثير من المنشورات السرية التي كانت تصدرها جمعية تركيا الفتاة[1].

[1] - william L.Cleviand, the Making of an arabNationalist,(ottomanisme and Arabismin the lifeand thought of sati Al Husri)Princeton, New jersey, Princeton UniversityPress 1971 pp 14-15.

المبحث الثاني: وظائفه في الدولة العثمانية (1900-1918)

رفض ساطع الحصري بعد تخرجه من الاشتغال بالوظائف الإدارية رغم تخصصه فيها، وفضل التدريس والتربية، فاشتغل لمدة خمس سنوات أستاذا للعلوم الطبيعية والقانون وعلم الاقتصاد والتاريخ الطبيعي، لكن فرضت السلطات الحاكمة رقابة عليه وعلى مقالاته التربوية التي كان ينشرها مما اضطره إلى مغادرة سلك التربية والتعليم الذي كان ضعيفا إذ لاحظ الحصري كثرة الأخطاء العلمية في الكتب المقررة على التلاميذ وهذا ما كان يرفضه[1].

وبعد مغادرته التعليم التحق بالسلك الإداري، فعين قائم مقام لمدة عامين برواد بشته التابعة لولاية كوسوفو في البلقان، ثم انتقل إلى فلورينا بولاية المناستير أين اشتغل قرابة عام، والتي كان مركزا لجمعية الاتحاد والترقي والقوميين البلغار واليونان اين لاحظ دور الكنائس ومدارس اللغات القومية في تنمية الوعي القومي. والمعروف عن أسرته أنها غنية إذن فهو ليس بحاجة إلى أموال، وكيف كانت السلطة تراقب مقالاته وتعرقل إعماله عندما كان أستاذا، وبعد مغادرته سلك التربية والتعليم تعينه في منصب حساس جدا في السلطة، فمن جهة كان متمردا على المنظومة التربوية التي كانت تطبقها السلطة الحاكمة، ومن جهة أخرى تضع فيه الثقة الكاملة وتعينه قائم مقام. وما يؤكد لنا تمرده على السلطة هو عدم تبليغه عن العناصر المناوئة لاستبداد السلطان عبد الحميد الثاني كما تمليه وظيفته كقائم مقام، وأكثر بذلك اتصاله بحركة الاتحاد والترقي وتعاطفه معها[2].

وعاد الحصري إلى وظيفته المفضلة-وهي التدريس- بعد ثورة 1908 وانتهاء كابوس الرقابة على عمله، وتولى أيضا مسؤولية إدارة مدرسة المعلمين في القسطنطينية فأدخل عليها عدة إصلاحات مثل إدخال مواد جديدة كعلم النفس، وفن التربية، كما قام بعدة رحلات استطلاعية في الإطار التربوي إلى الكثير من البلاد الأوروبية للاستفادة من أنظمتها التعليمية فزار سويسرا، وفرنسا، وانجلترا، وألمانيا، وإيطاليا وشارك في المؤتمر الدولي للتربية

[1]- محمد برج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 15.

[2]- محمد برج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص 22، 24.

والأخلاق بـ لاهاي بهولندا، وركز جل اهتمامه في التربية والتعليم حتى لقب بأبي التعليم العثماني[1].

ويبدو انه تأثر كثيرا بعلماء التربية الأوربيين وخاصة السويسري بستالونزي والفرنسي جان جاك روسو، فخصهما بدراستين مطولتين، تطرق فيهما بصفة خاصة إلى فلسفتهما في التربية والتعليم، وابدي إعجابا بهما حتى لقبهما بسلاطين التربية. ويبدو أن انغماسه في التربية والتعليم صرفه عن أي اهتمام بالقضايا السياسية والقومية وخاصة العربية منه فلم يتخذ أي موقف صريح من سياسة التتريك التي مارستها الدولة العثمانية ضد العرب، وكان يرى بان ذلك سيهدد وحدة الإمبراطورية العثمانية لأن قوتها وتقدمها وإصلاحها سيؤدي حتما إلى تطور وتقدم كل الأمم المكونة لها، أي أنه كان من دعاة الرابطة العثمانية [2].

ومعروف عن الحصري انه لم ينضم إلى أي جمعية عربية باستثناء إلقائه بعض المحاضرات العلمية والأدبية البعيدة كل البعد عن السياسة في جمعية المنتدى الأدبي. ولم يكون سيلقي تلك المحاضرات لو اشتم منها رائحة دعوة انفصالية في جمعية المنتدى الأدبي لأنه كان يرفض كل الجمعيات التي تضم انفصاليين عربا او قوميين أتراكا، ولكن الحصري انضم بعد الحرب العالمية الأولى وانفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية إلى الحركة القومية العربية، وأصبح من أكبر المنظرين والدعاة لها مما يجعل الدارس يبحث عن السر الكامن وراء تحوله من داعية إلى الرابطة العثمانية إلى قومي عربي يرفض أي وحدة آو تجمع، ويفسر هو هذا التحول لأنه عربي أو إدراكه لسياسة التتريك. كالقول بان هدفه من هذا التحول هو الحصول على مكتسبات مادية فيقول بأنه كان بإمكانه أن يتولى مناصب عالية في الدولة العثمانية في أواخر حياتها[3].

---

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، أحاديث في التربية والاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984 ص ص 143، 215.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، احاديث في التربية والاجتماع، المصدر السابق، ص 215.

[3]- محمد برج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 24.

المبحث الثالث: ساطع الحصري في سوريا (1920-1921)

التحق الحصري بحكومة فيصل الأول بدمشق بعد الحرب العالمية الأولى، وهولا يتقن اللغة العربية، فتولى منصب وزارة المعارف منذ إعلان الاستقلال 1920، فقام بتعريب التعليم بعدما كان بالتركية، وكون لجنة لجمع المصطلحات العلمية، ووضع نواة المجمع العلمي العربي بدمشق، إلا انه استقال من وزارة المعارف بسبب خلافه مع الحاكم العسكري العام بشأن سياسة الدولة بوجه عام، وتنظيم شؤون المعارف بوجه خاص[1].

وكلفته حكومة فيصل الأول بالقضايا الدبلوماسية بسبب معرفته للغة الفرنسية والتركية وإلمامه بالعقلية الأوروبية، فشرح القضية السورية أمام الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، مثلما قاد الوفد السوري المفاوض مع الجنرال غورو قائد الجيش الفرنسي الذي حاول دخول دمشق أثناء معركة ميلسون1920[2].

ولقد غادر الحصري سوريا مع الملك فيصل الذي طردته فرنسا، فرافقه إلى الحجاز وحيفا بفلسطين وبورسعيد بمصر وايطاليا، وكلفه الملك أثناء هذه التنقلات بتولي العديد من المهام الدبلوماسية أبرزها اتصاله بالكماليين في تركيا مستغلا في ذلك علاقته السابقة بالأتراك وعرفته للغة التركية حيث طلب منهم مساعدة الملك فيصل الأول في الرجوع إلى سوريا وتحريرها من القبضة الفرنسية، ولكن كل ذلك كان بدون جدوى لان هؤلاء الكماليين كانوا مغلوبين أيضا على أمرهم، مثلما اتصل أيضا بسونفاتي- أستاذ الحقوق في الجامعة الايطالية- طالبا منه مساعدته في وضع دراسة قانونية عن القضية السورية.[3]

---

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا (1921-1927)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1 بيروت، 1967، ص 142.

[2]-Madjid Khadduri, Political Trends in the Arab World (The role of ideas and ideals in politics),the johnshopkinspressBaltimor and london 1970 p 119.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، يوم ميسلون – صفحة من تاريخ العرب الحديث – دار التحاد بيروت، د ت، ص ص 110، 208.

المبحث الرابع: ساطع الحصري في العراق(1921-1941)

عندما تولى الملك فيصل الأول عرش العراق بدعم من الانجليز عاد معه الحصري بعدما رافقه وساعده في عمله السياسي بالخارج، فكان جديرا أن يسلمه الملك منصبا وزاريا في حكومته كالخارجية مثلا، وخاصة بعد أن اخبره في العديد من القضايا الدبلوماسية أو في ميدان التربية المختص فيه، إلا أن الحصري رفض تولي أي منصب وزاري بسبب عدم استقرار الوزراء، وقصر مدتهم، فاقنع الملك فيصل الأول برغبته في العمل كإطار سامي في وزارة المعارف بهدف بناء معارف العراق على أسس متينة ودعائم قوية وفق خطط علمية وتربوية سليمة بكل معنى الكلمة[1].

ولقد تولى الحصري عدة مناصب في التربية والتعليم والثقافة خلال العشرين سنة التي قضاها في العراق، أول هذه المناصب تعيينه في منصب معاون وزير المعارف الذي رفض توليه إلى بعد أن تنازلت الحكومة لدى شرطة المتمثل في عزل مستشار المعارف الانجليزي، الذي كان يسعى إلى عرقلة كل العمليات الساعية لإصلاح التعليم في العراق وخاصة قضية التعريب وعمله على فرض التعليم الانجليزي في المدارس العراقية[2].

وبقي الحصري في هذا المنصب أكثر من سنة، وخلال ذلك قام بتنظيم الجهاز الإداري والتفتيش، وإصلاح المرحلة الابتدائية بوضع منهج جديد يخدم الأهداف الوطنية والقومية كالتعريب والتركيز على الوطن العربي في مادتي التاريخ والجغرافيا. وعارض مشروع مدرسة العشائر الذي ينص على إقامة مدارس خاصة بأبناء رؤساء القبائل والعشائر إذ استطاع الحصري إقناع الملك فيصل الأول برفض المشروع الذي اقترحه وزير المعارف مبينا أن أحوال العراق لا تسمح بذلك، وانه يهدد الوحدة الوطنية ويخلق تمايزا طبقيا كبيرا في صفوف الشعب[3].

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي، المصدر السابق، ص ص 15، 17.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، ص ص 46 – 47.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، ص 68.

وقد واجه الحصري أثناء توليه منصب معاون وزير المعارف عدة نشاطات مناوئة له، لم تأت من الانجليز بقدر ما جاءت من عناصر شعرت بأنه يهدد مصالحها، فنشرت عدة إشاعات ضده أبرزها أنه ليس عراقيا، وأنه يجلب مدرسين سوريين ورفعت هذه الجماعات المناوئة له عريضة لوزير المعارف بشعار" ما نعرف حكومتنا اليوم عراقية أم سورية" ووجد هؤلاء المناوئين للحصري سندهم في الحزب الحر الوطني ذي التوجه القطري، وما هذه الحجة إلا ذر للرماد في العيون لأنه عوضه بمنصب آخر وهو مدير المعارف العام الذي يشترط الجنسية العراقية، في من يتولى هذا المنصب، مما جعل الملك فيصل الأول يتدخل شخصيا في المسالة، فأعلن بان الحصري عراقي الجنسية مثله، فأسند له بذلك المنصب الجديد[1].

وبقي الحصري في هذا المنصب الجديد من 1923 الى1927، وقد سر به لأنه يخرجه من دائرة السيطرة ويطلق يده في الإصلاح بمنأى عن الانجليز، إلا انه فضل العمل بالتدرج لكي لا يصدم الانجليز فينبههم لأهمية المنصب فيعملون على توسيع صلاحيات المستشار البريطاني للمعارف على حسابه، وقام في الفترة التي تولى فيها هذا المنصب بإصلاحات إدارية مثل القضاء على البيروقراطية في مجال التربية، ورسخ مبدأ اللامركزية في التسيير الذي يؤمن به فأعطى مديري معارف الولايات صلاحيات أوسع لكي يكرس كل وقته لمعالجة القضايا الأساسية كالمناهج والبرامج المدرسية[2].

ووحد التربية والتعليم في العراق بعد وضعه مدارس مختلف الطوائف الدينية تحت إشراف وزارة المعارف، فأصبحت كل البرامج من اختصاصها باستثناء الدروس الدينية التي بقيت من اختصاص رؤساء هذه الطوائف، وهدفه من ذلك الحفاظ على الوحدة الوطنية من خلال وحدة الفكر لدى عموم الشعب[3].

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي، المصدر السابق، ص 18.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، ص ص 269 -270.

[3]- نفس المصدر، ص 289.

وعمل على تقريب الهوة بين السنة والشيعة في التعليم الديني وذلك بالتركيز في المراحل الأولى من التعليم على الأحكام المتفق عليها بين المذهبين الجعفري والسني وتأجيل تعليم الأحكام المختلف عليها الى المرحلة الثانوية، واعتمد في ذلك بتدريس كتاب "توحيد اهل التوحيد"[1].

وقد أولى الحصري في التربية الدينية اهتماما كبيرا مما جعل مجموعة من المدرسين المناوئين له يصدرون كتابا في أواخر 1923 بعنوان سر تأخر المعارف في العراقي حملون فيه الحصري مسؤولية ذلك التأخر لأنه اهتم كثيرا بتعليم الدين وأهمل تعليم البنات، وقد أنكر هو هذه التهمة الأخيرة، ولا بد أن أشير بأن اهتمام الحصري بالتربية الدينية لا يتعارض مع علمانيته لأن العلمانية في مفهومه هو فصل الدولة القومية عن الدين في المجالات السياسية والاقتصادية فقط، لكنه لا ينكر ما للتربية الدينية من دور في تنشئة المواطنين على الأخلاق الفاضلة، ولو أراد إبعاد التربية الدينية عن التعليم لقضى على نفسه وأفكاره نظرا لما للدين من نفوذ على المجتمع العربي[2].

ولقد لعب الحصري وهو في منصب مدير المعارف العام دورا في تطوير اللغة الكردية في العراق، فلم يعارض جعلها لغة رسمية في المدن والقرى الكبرى، ودعا إلى ضرورة ترجمة الكتب المدرسية المقررة في الابتدائي إلى اللغة الكردية دون تغيير في مضمونها لكن دون إهمال تعليم الأكراد اللغة العربية وهدفه من ذلك الحفاظ على وحدة الفكر والتواصل بين أبناء الوطن الواحد، إلا انه كانت بعض الخلافات حول قضية الحروف الكردية مع بعض أعضاء اللجنة المصغرة المكلفة بالإشراف على مهام ترجمة تلك الكتب المدرسية، هذا ما جعل الحصري يرى توسيع تلك اللجنة المصغرة و أخذ مقترحات علماء الأكراد في هذا المجال

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي، المصدر السابق، ص 18.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، ص315.

اللغوي المعقد، استقر الرأي في الأخير على طرح الحصري. وذا ما يؤكد لنا موقفه غير المعارض لحقوق ومطالب الأقليات العرقية، ومدى إيمانه بالديمقراطية والشورى[1].

واستقال الحصري من منصب مدير المعارف العام في 1927 بسبب كيد المناوئين له، واستمرار التهمة التي ألصقت به في السابق في التفاعل والمتمثلة في انه سوري وليس عراقيا، وإضافة تهمة أخرى انه يجامل السنيين على حساب الشيعة، وذنبه في ذلك هو سعيه للحد من المدارس الإيرانية العاملة في العراق ضد القومية العربية[2].

وعاد الحصري بطلب منه إلى مهنة التعليم في أوت 1927 كأستاذ في دار المعلمين العليا إيمانا منه بأن السبيل لإصلاح التعليم هو إعداد المدرس الكفؤ مثلما عين أيضا عضوا في لجنتي إصلاح البرامج وفحص الكتب المدرسية، فترك من خلال ذلك بصماته على التعليم الذي اتخذه وسيلة للتربية القومية، ونظرا لدوره التربوي في دار المعلمين العليا أغلقها المناوئون له لمدة أربع سنوات[3].

وكان للحصري نشاطا فكري كبير أثناء الأربع سنوات التي قضاها في دار المعلمين فألقى العديد من المحاضرات في نادي المعلمين، وأنشأ مجلة التربية والتعليم، أين أعاد نشر الكثير من المقالات المنشورة في المجلات المصرية عن التربية والتعليم والتاريخ والاجتماع مع التعليق عليها لتصحيح بعض محتوياتها[4].

وتقلد بعد ذلك عدة مناصب تربوية أخرى منها مراقب التعليم الذي استقال منه بعد مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أشهر بسبب تحكم المستشار البريطاني سرفيل في المدير العام للتعليم والمسؤول على الحصري مباشرة. وعين في 1931 مديرا لكلية الحقوق. وأسندت له في نفس الوقت إدارة مديرية الآثار القديمة بالإضافة إلى مدير التدريس والتربية العام بعد

---

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج II (1927 – 1941)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، 1968، ص ص 8 – 9.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج II، المصدر السابق، ص 28.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، في اللغة والادب وعلاقاتهما بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص ص 73، 96.

[4]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج II، نفس المصدر، صص 111، 119.

استقالته من إدارة كلية الحقوق لكنه استقال من هذا المنصب أيضا بسبب عدم أخذ مقترحاته بعين الاعتبار واختلافه مع وزير المعارف صادق البصام حول إصلاح دار المعلمين العليا. إلا انه بقي محتفظا بمنصب مدير الآثار القديمة في العراق بالإضافة إلى عضويته منذ عام 1937 في الهيئة الاستشارية للمتاحف التابعة للمؤسسة الدولية للتعاون الفكري التابعة لعصبة الأمم [1].

وبقي الحصري في هاتين الوظيفتين حتى اندلاع ثورة رشيد عالي الكيلاني التي دعمها سريا ولكن مخابرات الوصي على العرش عبد الإله كانت تراقب كل خطواته شأنه في ذلك شأن كل القوميين العرب آنذاك في العراق، فنقلت إلى الوصي عبد الإله ما قاله الحصري في اجتماع له مع بعض العراقيين رصاصة واحدة كفيلة بتخليص العراق منه، ونتيجة لذلك اصدر الوصي أمرا بسحب الجنسية العراقية منه اعتمادا على قرار عدم منح الجنسية العراقية لكل من سكن العراق بعد عام 1914، وهكذا طرد الحصري من العراق في 23 جوان 1941 [2].

وكان الحصري يرفض التهور والاندفاع في أي عمل واستعمال الدبلوماسية خاصة إذا كنا في مرحلة ضعف، ولهذا السبب أيد سياسة "خذ وطالب" التي طبقها فيصل الأول مع الانجليز من أجل تحرير بلاده العراق، لكنه كان يؤاخذ الملك غازي على حماسته الثورية المتهورة عندما كان يدعو الكويتيين من محطته الإذاعية ببغداد إلى الثورة ضد الانجليز، فيعلق الحصري عن ذلك بقوله "والملك الغازي ظل محتفظا بحماسته الوطنية بين كل هذه التقلبات السياسية غير أنه اندفع في هذه الحماسة إلى حد الخروج عن تقاليد السياسة". ويبدو ان ما رآه الحصري من تقلبات في الدولة العثمانية وأثناء وجوده في سوريا بالإضافة

[1] – ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج II، المصدر السابق، ص 143.

[2] – ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق جI، المصدر السابق، ص ص 20، 24.

إلى التقلبات في الوظائف التي تولاها، كلها قد علمته التجربة والحكمة والدبلوماسية وليس التهور والحماس[1].

ويلاحظ الدارس أن الحصري لم يشتغل بالسياسة، ولم ينضم إلى أي حزب سياسي عندما كان في العراق وحتى بعد طرده منه، ورفض حتى تقلد منصب سياسي كوزير مثلا، ويقصد الحصري بالمرتبة العليا السياسية العمل من اجل بث الشعور الوطني والقومي في نفسية المواطنين، وهي عكس السياسة العلمية أو الاحترافية التي سياسة الإدارة والحكم وما يؤثر فيها من السياسات الحزبية، ولعل هذا هو السبب في عدم انضمامه إلى أي حزب سياسي لأنه يعتبر نفسه عامل في إطار السياسة العليا وخوفا من إدخال السياسة الحزبية إلى المدرسة، وأيضا لعل شعوره بأن انضمامه إلى أي حزب سياسي يمكن أن يضعف تأثيره الفكري على المعارضين للحزب الذي ينضم إليه، ولأن انضمامه إلى أي حزب سيفقد أقواله وأفكاره صفة المصداقية [2].

لكن هذا لم يمنعه من الاهتمام بالأحوال السياسية في العراق وتطوراتها، فاطلع على بعض خفايا السياسة العراقية بحكم صلته وصداقته للملك فيصل الأول، وكذلك شخصيات بارزة في تاريخ العراق الحديث كياسين الهاشمي، وطه الهاشمي، ورستم حيدر...وغيرهم[3].

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، صص 37 – 38.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق جII، المصدر السابق، ص 525.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج II، المصدر السابق، ص 525.

المبحث الخامس: ساطع الحصري بعد نفيه من العراق(1968-1941)

انتقل ساطع الحصري الى لبنان بعد طرده من العراق في 1941، وبقي فيها حوالي ثلاث سنوات خصصها للبحث والدراسة عن ابن خلدون ومقدمته، والذي أعجب به اشد الإعجاب ، فألف عن ابن خلدون كتابا بعنوان " دراسات عن مقدمة ابن خلدون" من جزئيين، مثلما اشترك في المؤتمر الأممي الخامس عشر لعلم الاجتماع بإسطنبول في1943 فقدم بحثا باللغة الفرنسية بعنوان" علم الاجتماع عند ابن خلدون "رد فيه على أراء غاستون بوتول التي أوردها في كتابه " ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية" الذي وجه فيه تهما لهذا المفكر العربي ومنها انه يؤمن بالقدر وجاهل بالتاريخ القديم. ويرد محمد عبد الرحمان برج تأثر الحصري بابن خلدون من بعض الوجوه الى التشابه في حياتهما حيث ابن خلدون فاوض قائد التتار تيمور لنك عندما حاصر دمشق، وقام الحصري بنفس الدور عندما حاصر غورو دمشق في 1920[1].

وقد استدعت الحكومة السورية الحصري من لبنان وكلفته بمهمة إصلاح التعليم في سوريا فتقبل المهنة بفرح كبير، فقدم عدة مشاريع واقتراحات للحكومة السورية في ذلك فعملت فرنسا بكل ما بوسعها لإثارة معارضيه ومناوئين ضده بهدف طرده من سوريا لكن كل ذلك باء بالفشل، ويرى أن تجنب الظهور والدعاية كان وراء إفشاله هذه المخططات[2].وانتقل الحصري في 1947 إلى مصر بعد انتهاء مدة عقد وزارة المعارف السورية فتولى فيها عدة وظائف منها التدريس في معهد التربية العالي والقي في مصر الكثير من المحاضرات، وقد جمعت كلها في كتاب بعنوان" محاضرات في نشوء الفكرة القومية"[3].

وتولى منصب مستشار فني في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وهو منصب يعتبر من أهم المناصب التي تولاها على الصعيد القومي العربي، فأصدر الحوليات الثقافية

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985 ص ص 119 – 120.

[2]- محمد برج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص66.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع، المصدر السابق، ص120.

من ستة أجزاء تناول فيها أحوال المعارف والثقافة في كل البلاد العربية والفروق بين بلد عربي وآخر بهدف إزالتها، وأنشأ أيضا متحفا للثقافة العربية في 1949 جمع فيه كل الوثائق المتعلقة بنظم التعليم ومناهج الدراسة في مختلف البلاد العربية، مع إظهار الفروق، بهدف استفادة كل البلاد العربية بتلك الوثائق، لكن هذا المتحف أهمل من طرف إدارة الجامعة العربية مما جعل الحصري يوجه لها انتقادا لاذعا على ذلك[1].

وأنشأ معهدا للدراسات العالية في عام1953، وأصبح هو مديرا له، وهدفه خدمة القومية والوحدة العربية والاهتمام بكل الشؤون العربية، وكان يقوم بعدة أعمال فيه كالمحاضرات والإدارة والبحوث ومراجعة بحوث الطلبة ومناقشتهم. مثلما أنشأ مكتبة للمعهد وزودها بالكثير من الوثائق الخاصة بالبلاد العربية، لكنه استقال من إدارة المعهد لما وجده من انحراف عن مبادئه وأغراضه لأنه أصبح معهدا لمنح الشهادات فقط وليس للبحث، وقد نبه الجامعة العربية الى هذه الأوضاع[2].

اعتزل الحصري المناصب الرسمية منذ عام 1958، واعتكف على البحث والتأليف حيث أخرج الكثير من الكتب والأبحاث التي تخدم القضية العربية وكانت إقامته في غرفة متواضعة من غرف (لافي نواز) بالقاهرة أين كان يأتيه طلابه ومردوه، ورفض كل مساعدة مادية عرضت عليه واكتفى بموارد كتبه. وأعيدت له جنسيته العراقية في عام1958 ليموت ويدفن هناك في يوم 24ديسمبر1968[3].

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ثقافتنا في جامعة الدول العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985ص ص 113، 115.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، ثقافتنا في جامعة الدول العربية، المصدر السابق، ص 158.

[3]- محمد برج عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص 91 -92.

الفصل الثانـي

الفكر القومي عند ساطع الحصري

المبحث الاول: نظرة الحصري العامة الى القومية

يعتبر أغلبية المفكرين القوميين ومنهم الحصري، أن رجل القانون الإيطالي باسكال مانسيني PASCAL Mancini أول من حاول إعطاء تعريف علمي وقانوني شامل للأمة، ويتفق الحصري معه كليا عندما وصف الأمة بالمجتمع الطبيعي ويعتبر ذلك نظرة علمية هامة. لكن الحصري يرفض اعتبار مانسيني وحدة الأصل كرابطة بين أفراد الأمة في الوقت الذي لا يعترض على الروابط الأخرى، لأن روابط الأمة كثيرة ومتنوعة وتختلف من أمة إلى أخرى، أي تعيين المقومات الأساسية التي لا تكون أمة بدونها[1].

وينطلق الحصري في تحديده للمقومات الأساسية المكونة للأمة من نقده لعنصر وحدة الأصل، فيبين أن كل الأبحاث العلمية والتاريخية والأنثربولوجية أثبتت استحالة انحدار جميع أفراد الأمة من أصل واحد، لكن رغم ذلك فأن أفراد الأمة الواحدة يشعرون بالقرابة كأنهم أساسا من أصل واحد، حيث يرى أن تلك القرابة التي يشعر بها أفراد الأمة الواحدة هي في الحقيقة ليست قرابة مادية بل قرابة معنوية تنشأ من الروابط الاجتماعية المختلفة، ولا سيما من الاشتراك في اللغة والتاريخ فلا تدل–بوجه من الوجوه– علمي قرابة الأصل والدم[2].

ويرى الحصري أيضا أن أهم العوامل التي تؤدي إلى تكوين القرابة المعنوية التي يشعر بها الأفراد في الأمم المختلفة هي اللغة والتاريخ، فأن الاعتقاد بوحدة الأصل إنما يكون في الدرجة الأولى من الوحدة في اللغة والاشتراك في التاريخ. ويشبه الحصري الأمة بالكائنات الحية التي لها حياة وشعور، فقد عرفها بأنها كائن اجتماعي تتصف بلغتها وبتاريخها، فالأمة التي تنسى تاريخها تبقى محتفظة بلغتها تكون بمثابة عضوية اجتماعية فقدت الوعي

[1]– أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، ابحاث ودراسات على ضوء الاحداث والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1958، ص 35.

[2]– أبو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 بيروت، 1985، ص ص 20، 23.

والشعور، ولكنها بقيت على قيد الحياة والشعور قد يعود إليها عندما تتذكر وتتعلم تاريخها، ولكن الأمة إذا ما فقدت لغتها وصارت تتكلم بلغة أمة أخرى تكون قد اندمجت في تلك الأمة، وفقدت كيانها الخاص وزالت من عالم الوجود[1].

ويعتقد من لم يدرس الحصري بتمعن وتدقيق بأنه ينكر الروابط الأخرى التي يمكن أن تربط بين أفراد الأمة كالدين والدولة والاقتصاد وغيرها من الروابط كمقومات للأمة، لكنه في حقيقة الأمر لا يقول بأن اللغة والتاريخ فقط هما مقومات الأمة، بل يعتبرهما المقومين الأساسيين اللذين لا يمكن أبدا لجماعة أن تكون امة دون أن يتوفر فيها هذين العنصرين[2].

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص 23.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 38.

المبحث الثاني: نقاش الحصري لمختلف النظريات القومية

نشر الحصري في عام 1959 كتاب بعنوان " ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات" وهو عبارة عن دراسات وأبحاث ناقش فيها مختلف النظريات القومية العالمية المتمثلة في النظرية الألمانية القائلة بأن اللغة هي أساس القومية، ثم النظرية الفرنسية القائلة بان الرغبة في العيش المشترك لدي مجموعة من الأفراد هي التي تشكل الأمة، وكذلك النظرية الشيوعية التي صاغها ستالين، والتي يحدد فيها مقومات الأمة في اربعة عناصر ضرورية وهي اللغة والأرض والثقافة المشتركة والوحدة الاقتصادية.

1- الحصري والنظرية الألمانية :

تقول النظرية الألمانية أن اللغة هي العنصر الأساسي في تكوين الأمة، ومن أشهر القائلين بهذه النظرية جوتليب فيختة وارنست موريتز آرندت وماكس نورادو وغيرهم حيث يرون أن الحدود الطبيعية للأمة الألمانية تبنى على أساس لغوي. ولم ينطلق منظرو القومية الألمانية في وضع نظريتهم القومية المبنية على اللغة من مصالح وظروف أمتهم فقط، بل تأثروا بالكثير من مفكريها الذين نبهوا في النصف الثاني من القرن 18 م إلى دور اللغة في حياة الشعوب، ونجد على رأس هؤلاء المفكرين جون فريد هردر الذي وضع الكثير من الأبحاث والمؤلفات عن تراث ولغات وآداب الشعوب، خاصة السلافية منها[1].

ولكن لا بد لنا من الإشارة إلى أن هردر كان امنيا معاديا للقومية الضيقة كغيره من المفكرين الألمان في عصره، وكان يعتقد كغيره من الرومانسيين الأمميين أن دراسة اللغات والآداب وإحياء تاريخ مختلف الشعوب سيؤدي إلى شعور الإنسانية بالأخوة البشرية، فساهموا

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 210.

بذلك دون قصد منهم في نمو النزعة القومية بإيقاظهم روح الاهتمام بماضي الأمة وتراثها وآدابها[1].

وتبني الحصري النظرة القومية الألمانية تبنيا كاملا، ويستند على الأبحاث التي قام بها هردر الألماني خاصة كتابيه فلسفة أخرى في تاريخ البشرية وآراء لتكوين فلسفة تاريخ البشرية، والتي تدور حول علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها، ويستخلص من النتيجة التي توصل إليها هردر بأن الشعوب التي تتكلم لغة واحدة يجب أن تكون دولة واحدة. ويبدوا لنا أن الحصري استعمال نفس المصطلحات التي يستعملها هردر حيث يرى أن وحدة اللغة هي أهم وامتن الروابط التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، لأنها هي أداة التفكير، ومن أهم وسائل التعبير، وواسطة اتصال، ووسيلة انتقال التراث الفكري والأدبي والتاريخي من جيل لأخر، فإذا فقدت الأمة لغتها فأنها ستفقد كل خصائصها القومية وتراثها الأدبي والثقافي وأهدافها ومثلها العليا[2].

وقد استند الحصري أيضا في دعم النظرية الألمانية على الوقائع التاريخية التي حصلت في القرنين 19 و20 الميلاديين، كتشكيل الدول الحديثة في أوروبا على أساس لغوي، بالإضافة أيضا إلى بذل رجال الحكم أقصى الجهود لضمان وحدة اللغة في البلاد التي يحكمونها، واهتمام الاستعمار بقضية اللغة وعمله على تعميم لغته على حساب لغات البلاد المستعمرة بهدف دمج سكانها كليا مثلما حاول الاستعمار الفرنسي في الجزائر[3].

واصطدمت النظرية الألمانية بعدة انتقادات كغيرها من النظريات القومية، واستند معارضو النظرية الألمانية على عدة وقائع وحالات استثنائية تدحض الطرح القائل بأن الأمم

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 53.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، ابحاث مختارة في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت 1985، ص 82.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1985 ص ص 73، 104.

والدول تتشكل على أساس لغوي، ويعطي هؤلاء المعارضون أمثلة بدول لها عدة لغات كسويسرا وكندا وبلجيكا وقبرص. ويرى الحصري بأن القائلين بان هذه الدول أمم لا يميزون بين الدولة والأمة ولا يعلمون بأن الأمة شيء والدولة شيء أخر، وهو المنطلق الذي ركز عليه كثيرا في أطروحاته وكتاباته حول القومية يرى أن هناك عوامل بشرية وطبيعية فرضت تلك الوقائع والحالات قسرا[1].

كتب الحصري في كتابه " ما هي القومية؟" مختلف العوامل البشرية والطبيعية التي فرضت تلك الوقائع والحالات التي يستند عليها معارضو النظرية الألمانية ويحدد هذه العوامل في ضغوط دولية فرضت إبقاء قبرص موحدة، ومنعت النمسا وألمانيا من الوحدة ويورد نفس التعليل بالنسبة لكل من بلجيكا وسويسرا، إلا انه يضيف الخصائص الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والبشرية والتشابك اللغوي. مثلما يرى أيضا إن اختلاف نسب الأوروبيين والزنوج والسكان الأصليين من بلد لآخر في أمريكا اللاتينية حالت دون تشكيل دولة واحدة في أمريكا اللاتينية عكس الولايات المتحدة الأمريكية[2].

2- الحصري والنظرية الفرنسية:

يبدو أن ظروف نشأة الأمة الفرنسية، ومصالحها الاستعمارية، وصراعها مع ألمانيا على الألزاس واللورين في أواخر القرن 19 الميلادي، هي التي أملت على ارنست رينان Ernest Renan احد اكبر منظري القومية الفرنسية على وضع مبدئه القائل بأن الرغبة والإرادة في العيش المشترك هما الأساس في تكوين القومية، ويعترف رينان في محاضرته بعنصر التاريخ والذكريات المشتركة في تكوين الأمة، إلا أنه يدعو إلى ضرورة نسيان بعض

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، صص 55، 61.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص ص 67، 94.

الوقائع التاريخية التي يمكن أن تهدد الوحدة القومية، لأنه يعي جيدا بأن الدولة القومية الفرنسية لم تتشكل إلا على جماجم الكثير من العناصر والجماعات القومية[1].

ويعترف الحصري صراحة بأنه قد تأثر تأثرا بالغا بمحاضرة رينان " ماهي الأمة؟" ونظريته في بداية حياته هو الذي جعله من دعاة الرابطة العثمانية لمدة طويلة، ونعتقد بأنه لم يتخل عنها بسبب دراساته وملاحظاته فقط كما يقول، بل يمكن أن يكون قد اطلع على كتاب "حديث إلى الأمة الألمانية" لفيخته، وما يدفعنا إلى هذا الطرح هو اعتراف الحصري نفسه بعدم اهتمامه العميق بالدراسات التاريخية إلا بعد الحرب العالمية الأولى[2].

ورغم تخلي الحصري عن نظرية رينان الا انه كما يبدو قد تأثر بمنهجيته في طرح آرائه ونظراته في القومية وقد اثبت براعة فائقة في نقاشه لنظرية مما يدل عن تأثره العميق بالمنطق الرياضي، فنجده ينطلق من أقوال رينان نفسها وأطروحاته المتصفة بالعلمية، ليتوصل من خلالها إلى آرائه في القومية المبنية على اللغة والتاريخ كمقومات أساسية للأمة، ويفند بذلك استنتاجات رينان[3].

وبدأ الحصري في نقده لنظرية رينان بنزع الصفة العلمية عنها، مثلما يفعل مع كل النظريات القومية التي انتقدها، ويرى بأنه كان يجب على رينان البحث عن الأسباب والدوافع العميقة المختفية وراء الرغبة والإرادة في العيش المشترك التي ما هي في الحقيقة إلا نتيجة لإحساس أفراد بانتمائهم إلى أمة واحدة فكان على الحصري أن يدافع عن آرائه القومية القائلة بأن الاشتراك في اللغة والتاريخ كان وراء ذلك الشعور الذي أدى إلى الرغبة في العيش المشترك مع الأفراد الذين لهم نفس الشعور[4].

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في الوطنية القومية، المصدر السابق، ص ص 186، 201.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، المصدر السابق، ص ص 47- 48.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع، المصدر السابق، ص 35.

[4]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص ص 111 – 112.

وعندما دعا رينان إلى ضرورة نسيان بعض الحوادث التاريخية التي يمكن أن تهدد الوحدة القومية، لان إحياء هذه الأحداث ستثير في بعض الجماعات من الأمة مميزاتها وتعلم بأنه قضي على تلك المميزات بالقهر والقوة. فكل هذا جعلت الحصري يعتبر ذلك دليلا قاطعا على أن مشيئة المعيشة المشتركة تتأثر بالمعلومات التاريخية تأثرا كبيرا ويتوصل إلى نتيجة مفادها أن الشعور بالتاريخ المشترك هو وراء الرغبة والإرادة في العيش المشترك[1].

وقد تبين لدعاة الرغبة والإرادة في العيش المشترك كأساس للقومية بأن نظرية رينان فيها ضعف يتمثل في إمكانية تغير رغبات السكان مما جعلهم يقيدون نظرية الرغبة أو المشيئة في العيش المشترك، وقد انطلق الحصري من هذا التعديل لنظرية رينان ليدعم رأيه القائل بأن اللغة والتاريخ المشترك وراء تلك الرغبة، فيعطي مثالين يدعم بها آرائه القومية، الأول هو الحرب الأهلية الأمريكية والثاني سعي المجريين للانفصال عن النمسا[2].

3- الحصري والنظرية الشيوعية:

تفسر الشيوعية ظهور الفكرة القومية بالعامل الاقتصادي، وترى بأن الطبقة البرجوازية او الرأسمالية هي وراء انتشار الفكرة القومية بهدف توسيع السوق الرأسمالي وخدمة مصالحها الطبقية، ان هذا التفسير الشيوعي للظاهرة القومية في القرن 19م جعلت المفكرين الشيوعيين لا يولون المسألة القومية اهتماما كبيرا ما دامت القومية ماهي إلا ظاهرة ظرفية مرتبطة بالرأسمالية وستنتهي بنهاية الرأسمالية وانتصار الشيوعية[3].

لكن التعدد القومي واللغوي في روسيا القيصرية قبل ثورة 1917، ثم الاتحاد السوفياتي بعد الثورة، جعلت المفكرين الشيوعيين يبحثون في المسألة القومية بهدف إخراج الفكر الشيوعي من المأزق الذي وضع فيه، فوضع ستالين نظرية يحفظ بها مصالح بلاده

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص120.

[2]- نفس المصدر، ص 114.

[3]- بويد شيفر، القومية، المرجع السابق، ص 143.

المتعددة القوميات، فيعرف الأمة بأنها "جماعة مستقرة من الناس تكونت تدريجيا، ونشأت على أساس العلائم والمقومات الأربع الأساسية التالية، جامعة الأمة، وجامعة الأرض وجامعة الحياة الاقتصادية، وجامعة التكوين النفسي الذي يتجلى في الخصائص التي تعصي الثقافة القومية "[1].

وقد تبنى أغلبية الشيوعيين نظرية ستالين في القومية باستثناء بعض المفكرين فقط الذين أضافوا عنصر وجود الدولة إلى العناصر الأربعة التي ذكرها ستالين. وينطلق الحصري من هذا النقاش بين الشيوعيين أنفسهم لدحض نظرية ستالين مستعملا نفس الأسلوب الذي استعمله ستالين، فاستبعاد الدولة من عداد مقومات الأمة الأساسية، يستلزم استبعاد الحياة الاقتصادية التابعة لها أيضا من عداد المقومات الأساسية[2].

ويرى الحصري بأن هناك نوازع فكرية وعاطفية لها دور كبير في حياة الأفراد والجماعات، يرى أيضا بأن مبدأ القومية لا يرتبط في الغالب بأية مصلحة، ويستدل على نظرته بوقائع تاريخية مثل مطالبة جزر كورفو اليونانية التابعة لبريطانيا بالانضمام إلى اليونان رغم أن ذلك سيصعب من أحوالها الاقتصادية مقارنة بوضعها الاقتصادي عندما كانت تابعة لبريطانيا، لكن النتيجة كانت عكس ذلك، مما جعل عدة جرائد فرنسية تعلق على الاستفتاء عام 1935 بقولها" العاطفة تغلبت على المنفعة". مثلما يستبعد الحصري أي دور للاقتصاد في الحركة القومية لأن الدولة المستعمرة يمكن لها أن تسيطر على اقتصاديات البلاد المستعمرة بسهولة، لكن من الصعب عليها القضاء على لغة وتاريخ الأمة[3].

لكن لا ينفي الحصري مدى الخطورة التي تشكلها تناقض المصالح الاقتصادية داخل الامة الواحدة على وحدتها، ولعل هذه القناعة هي التي جعلته يتجنب الحديث في كتاباته

[1]- جوزيف ستالين، الماركسية والقضية القومية، تر رابطة الكتاب التقدميين، دار النهضة، بيروت، (د ت)، ص 15.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 145.

[3]- نفس المصدر، ص ص 134، 137.

القومية عن الصراعات والمصالح الطبقية في الوطن العربي، ويرفض أي مضمون اشتراكي أو ليبرالي صراحة لفكره القومي حفاظا منه على وحدة الأمة. مما جعل الكثير من القوميين العرب الجدد الذين جاءوا بعد الحرب العالمية الثانية والمتأثرين بالفكرة الاشتراكية يتهمونه بخدمة مصالح طبقة الوجهاء والأعيان، ولم يهتم بالطبقات المحرومة في الوطن العربي لأنه ابعد المضمون الاشتراكي عن القومية العربية[1].

وما يلاحظه الباحث في فكر الحصري هو إصراره على الفصل التام بين ظهور الرأسمالية والفكرة القومية في نفس الفترة، فينتقد بشدة قول الشيوعيين بأن «القومية وليدة الرأسمالية»، فيرى أن ما دفع الشيوعيين إلى هذا القول هو تفتيشهم الدائم عن العوامل الاقتصادية لتفسير أية ظاهرة، فيستبعد هذا الطرح اللينيني على الوحدتين الألمانية والايطالية بقوله أن التاريخ أثبت أن الفكرة القومية كانت أسبق من توحيد الأسواق التجارية فيهما[2].

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 133.

[2]- بويد شيفر، القومية، المرجع السابق، ص 127.

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في فكر الحصري

يتبين لنا من خلال تعرضنا لكيفية نقاش ونقد الحصري لمختلف النظريات القومية مدى تأثره بالفكر القومي الأوروبي خاصة النظرية القومية الألمانية. ولم ينكر أي احد من الدارسين لفكره مدي تأثره بالفكر الأوروبي خاصة فيختة الألماني، لكن ما يثير تعجبا لدينا هو ما تورده الباحثة الروسية تاتيانا تيخونوفا عن تأثر الحصري بأبحاث رينان اللغوية وخاصة بحثه "في أصول اللغة". وتعلق أن اللغة هي أداة التفكير، كما أنها أهم وسائل التعبير عن خلجات النفس، ولذلك نقول: إن وحدة اللغة هي أهم وامتن العوامل التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، وتؤثر في تكوين شخصيات الأمم[1].

ويبدو أن تيخونوفا أغفلت أن ما قام به رينان في بحثه ليس لغويا موضوعيا بقدر ما هو تحليل اللغات السامية من كل جوانبها. فكيف يتأثر الحصري ببحث لغوي هدفه دعم النظرية العنصرية التي حاربها بفكره، إلا إذا كانت الباحثة تيخونوفا تعتقد أن ما قصده الحصري برأيه ذاك يشبه ما يراه رينان من ربط بين لغة شعب وبين عرق وعقل وشخصية وطباع ومزاج ذلك الشعب. وهذا ما يستبعد من آراء الحصري وليس هذا معناه انه لم يتأثر برينان، بل بالعكس فان تأثره يظهر لنا جليا في نظرة الحصري إلى عنصر التاريخ المشترك بصفته المقوم الأساسي الثاني للأمة، والذي لم يوله المفكرون القوميون الألمان أهمية كبيرة[2].

ولم يكتف الحصري فقط بنقل الفكر القومي الأوروبي خاصة الألماني الذي مثله فيخته ثم نقد مختلف النظريات والآراء القومية لاكتشاف العناصر الأساسية للقومية، بل اعتمد أيضا على الوقائع والأحداث التاريخية لإثبات صحة النظرية القومية الألمانية التي

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 104.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق(المعرفة-السلطة-الإنشاء)، تر كمال ابوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت 1984، ص 329.

تبناها. ونشير إلى انه قد كرس الكثير من أعماله للأحداث التاريخية خاصة الأوروبية منها بهدف دعم آرائه القومية ككتابه " محاضرات في نشوء الفكرة القومية[1].

وبالإضافة إلى كل هذه العوامل التي أثرت في فكر الحصري، فإن وليد قزيها يرى أن الحصري كان ينطلق من أوضاع الأمة العربية وظروفها لصياغة آرائه القومية، وكان يتجنب قضايا من شأنها الأضرار بمفهوم الأمة العربية، لأنه لو قال بعناصر أخرى كالعرق ووحدة الأرض والدولة ... وغيرها من العناصر التي لم تتوفر في الأمة العربية في ظروفها تلك لكان معنى ذلك نفي وجود أمة عربية واحدة، بل سيكون كل قطر هو امة لذاته[2].

وقد عبر د. وميض جمال عمر نظمي عن هذا الطرح أحسن تعبير عندما قال' لقد انطلق الحصري من التجربة الذاتية للأمة العربية، وراجع تجارب الشعوب الأخرى لكي يعي من خلالها إمكانية تحقيق الوحدة العربية وبكلمة أخرى كان منطلق الحصري عربيا اطل من خلاله على التجارب المشابهة ولم يكن بالتالي متأثرا بالتجربة الألمانية أولا ليطل من خلالها على النموذج العربي'[3].

وفي الوقت نفسه نلاحظ بأن الحصري كثيرا ما أهمل نشوء القوميات الفرنسية والانجليزية والإسبانية وغيرها، ويعود سبب ذلك في نظرنا إلى عدم تطابق نشوء هذه الأمم مع آرائه القومية لأن أغلبية المؤرخين يتفقون على أن هذه القوميات والأمم لم تنشأ إلا على يد اسر مالكة طموحة توسعت انطلاقا من قاعدتها على حساب الأقاليم المجاورة لها، ثم فرضوا بالقوة وبوسائل أخرى هوية الإقليم– القاعدة على الأقاليم–التي توسعوا على حسابها[4].

[1]– ابو خلدون ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، المصدر السابق، ص ص 21–22.

[2]– وليد قزيها، الحياة الفكرية في المشرق العربي، المرجع السابق، ص ص 179– 180.

[3]– وميض جمال عمر نظمي، فكر ساطع الحصري القومي، مجلة المستقبل العربي، عدد11، 1985، ص ص 14–15.

[4]– ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج ا، المصدر السابق، ص 217.

ونرى أن إبداء هذه الملاحظة يؤيد الطرح القائل بان الحصري انطلق من ظروف الأمة العربية في اهتمامه بالوحدتين الألمانية والايطالية، وليس العكس كما يمكن أن يعتقد الملاحظ من أول وهلة، إذا كان وليد قزيها قد انطلق في طرحه من الانتماء الطبقي للحصري نفسه، إذ هو من طبقة الوجهاء والأعيان، فعلى قزيها أن يبحث في التاريخ الفكري ليجد أن الكثير من المفكرين كانوا يعبرون ويدافعون عن مصالح مناقضة لمصالحهم الطبقية، وهذا لا يعني أننا ننفي تأثر الحصري بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأفكار السائدة آنذاك في الوطن العربي، لكن ليس إلى درجة أنه وضع فكرا قوميا عربيا يخدم به مصالح طبقة معينة عن قصد ووعي[1].

[1]- إلياس مرقس، نقد الفكر القومي ج ا–ساطع الحصري–، دار الطليعة، بيروت، 1966، ص ص 9 – 10.

المبحث الرابع: نقد الحصري

تعرض فكر الحصري للنقد من عدة مفكرين ينتمون إلى تيارات سياسية وفكرية متباينة، وتتراوح هذه الانتقادات بين العلمية والموضوعية وانتقادات أخرى تدخل ضمن الجدال أو السجال الأيديولوجي. وإذا كان من الاستحالة على الحصري أن يرد على منتقدي فكره بعد وفاته، فأنه قد رد على بعض المفكرين الذين انتقدوه وهو على قيد الحياة.

1- انتقادات انور الجندي:

يرى المفكر الإسلامي أنور الجندي أنمن أكبر المؤثرات التي شكلت فكر الحصري نشأته في محيط الاتحاديين الذين تربوا في المحافل الماسونية، والمعروف أن الدعوة إلى القومية العربية بدأت أول أمرها في معاهد الإرساليات التبشيرية بهدف فصل العرب عن الدولة العثمانية، ومع أن الحصري عربي من اليمن الا انه يصدر عن كراهية عميقة للإسلام، وهي نفس كراهية الاتحاديين له لأنه تربي في أحضانهم، ويعتقد الجندي من جهة أخرى أن دعوة الحصري للفكرة القومية ماهي الا خدمة للحركة الصهيونية لأن الفكرة القومية في نظره أنشأها اليهود بهدف إخفاء الفرق بين النصراني واليهودي وهذا ما سعت اليه اليهودية من خلال ما أطلق عليه عصر التنوير وهذا ما أدى في نظره الي استيلاء اليهود على مراكز القرار والفكر في اوروبا[1].

ويبدوا لنا أن هذه التهم القاسية تفتقر إلى الدليل القاطع، ونعتقد أنها تدخل في إطار الجدال الإيديولوجي بين دعاة القومية العربية ودعاة الوحدة الإسلامية الذي شارك فيه الحصري، لكن ليس معنى هذا أننا ننكر ما يقوله أنور الجندي عن علاقة الصهيونية والماسونية بجمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية، وقد أثبت تأثير الصهيونية

[1]- أنور الجندي، مؤلفات في الميزان، مجلة منار الاسلام التي تصدر عن وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة، ص ص 49- 50.

والماسونية على الجمعية، التي أنتمي إليها الحصري بعض الوقت قبل أن يكتشف مدى عدائها للعرب وقيامها بسياسة التتريك. ولعل هذه الأحداث هي التي كانت وراء تحول الحصري الصريح من الرابطة العثمانية إلى الرابطة العربية، لكن لابد علينا أن نسجل أن الحصري ليس وحده في هذا الانخداع، بل انخدع الكثير من العرب والمسلمين بالجمعية كشكيب ارسلان والطاهر الجزائري وغيرهما[1].

ويمكن أن يكون أنور الجندي أكثر انصافا في حق الحصري لو عاتبه على استبعاده الإسلام من فكرته القومية مثلما فعل مفكر إسلامي آخر وهو د- فهمي جدعان الذي اكتفى عند حديثه عن تطور الفكر القومي العربي في مرحلة من مراحله بالقول:" اما الخطوة التالية في الاتجاه القومي الخالصة. وهي خطوة لم يحرص صاحبها في فترة نضوجها، على أن يحل فيها للإسلام دورا خاصا، فقد أقدم عليها مفكر قومي عربي ثقف في حداثته الفلسفة الوضعية، وعشق الأفكار القومية الأوروبية، هذا المفكر هو ساطع الحصري الذي تنتمي دراسة أفكاره إلى أفق القومية العربية المتفردة الخاصة، والذي استلهم التجارب القومية الأوروبية بالدرجة الأولى جاعلا من القومية العربية أيديولوجية متفردة بطريقة تعجز عن تشييد مجد حقيقي جديد للعرب"[2].

لكن يمكن أن يقول البعض بأن أنور الجندي محق في قوله عن الحصري انه يخدم مصالح الصهيونية، فيستندون في ذلك على إلحاحه على اعتبار اليهود أمة واحدة في الوقت الذي ينفي هذه الصفة عن المسلمين، وذلك في نقاشه لأنطوان سعادة الذي يقول بأن اليهود ليسوا امة لأنه لا امة على الإطلاق بدون قطر معين محدود لكن الحصري يؤاخذ انطوت سعادة على عدم تقسيمه الأديان إلى عالمية وقومية، جعلت هذه الفكرة الكثيرين يرون في نظرته هذه مساسا خطيرا بمصالح أمته العربية وخاصة القضية الفلسطينية. وقد رد الحصري

[1]- دزمونت ستيوارت، تاريخ الشرق الاوسط الحديث-معبد جانوس-، تر، زهدي جارالله، دار النهار للنشر، ط 2 بيروت، 1981، ص ص 183، 186

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 71.

على هؤلاء بنصحهم تجنب أي ربط بين قضية فلسطين وبين النظريات القومية " لأن حقنا في فلسطين لا يتبع وجه من الوجوه أمر التسليم بأن الأرض من عناصر القومية الأساسية، ولا يرتبط بصورة من الصور بأمر الاعتراف بأن بني إسرائيل امة، بل حقنا في فلسطين يستند إلى أنها بلادنا منذ عشرات القرون، وأنها موطن أبناء أمتنا منذ آلاف السنين، وان الصهاينة اغتصبوها منا اغتصابا ..."[1].

2- انتقادات وميض جمال عمر نظمي:

يقول الباحث الأكاديمي وميض جمال عمر نظمي أن نقطة الضعف الأولى في مجمل فكر الحصري هي عدم تركيزه على عملية الصيرورة التاريخية والتكون التاريخي الذي مرت بها الأمم وحققت من خلالهما عبر فترات طويلة تكونها كأمة وهذا ما أبرزه الأستاذ الحصري نفسه بشكل رائع حين ميز بين الأمة والدولة، ولم يجعل الثانية شرطا لوجود الأولى، ولكن فاته أن يشرح ويهتم بالتطور التاريخي[2].

ولم يرد عمر نظمي هذه التناقضات التي وقع فيها الحصري بشأن نشأة فكرة القومية في القرن 19م إلى عدم توغله في التاريخ القديم والصيرورة التاريخية لنشأة الأمم، بل يرده أيضا إلى عدم تمييزه بين أربعة مفاهيم ومصطلحات عند مناقشته المسألة القومية، وهي التكون التاريخي للأمة الذي هو تتبع عوامل تشكل الأمة عبر التاريخ البعيد، والوعي القومي الذي هو الشعور لدى أفراد الأمة بانتمائهم إلى هذه الأمة أو تلك والحركة القومية وهو عمل سياسي يستهدف استقلال الأمة وتحقيق وحدتها، أما فكرة القومية فهي أما فكرة أو مبدأ يدعو إلى استقلال ووحدة الأمة أو بحث نظري في مقومات الأمة وعوامل تشكلها وكيفية الحفاظ

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 72.

[2]- وميض جمال عمر نظمي، فكر ساطع الحصري القومي، المرجع السابق، ص 159.

على تماسكها او تحقيق وحدتها، مثل مختلف النظريات القومية التي ناقشها الحصري وانتقدها في كتاباته[1].

3- انتقادات سعدون حمادي:

لم تكن للحصري نظرة قومية عربية خالصة، بل له نظرة قومية عامة وعالمية تنطبق على جميع الأمم دون استثناء، فلم يميز مثلا بين القومية العربية ومختلف القوميات الأوروبية أو غيرها. ولعله بذلك اراد الحصري أن تكون لآرائه فعالية في نفسية العربي، لأن الإنسان بطبعه يميل الى التصورات الشمولية والعامة ويرفض تصورات خاصة بمجتمع معين فقط، لكن هذا التعميم وعدم تمييز الحصري بين القومية العربية ومختلف القوميات الأخرى، جلب عليه عدة انتقادات[2].

يمكن تلخيص الانتقادات فيما قاله سعدون حمادي من حزب البعث العراقي، في المقدمة التي وضعها لكتاب (في سبيل البعث) لميشيل عفلق إذ يقول " إن مفهوم القومية هو نقيض المفهوم القومي الأوروبي الذي يعتمد على المنطق المجرد، والذي يعتبر أن تطور القوميات يجري حسب قواعد مشتركة ثابتة تصح على جميع الأمم، والذي يمثله إلى حد ما الأستاذ ساطع الحصري..."[3].

وقد رد الحصري على هذا النقد بقوله انه لا يسلم بأن كل ما يصح على العرب لابد أن يصح على غيرهم ولكني لا اسلم أيضا بأنه لا يوجد شيء مشترك بين القوميات العربية وبين القوميات الأخرى، واعتقد بأن هناك بعض القواعد المشتركة في تطور القوميات فأقول أن اللغة والتاريخ هما العاملان الأساسيان في تكوين القوميات[4].

---

[1]- وميض جمال عمر نظمي، فكر ساطع الحصري القومي، المرجع السابق، ص 159.

[2]- ميشيل عفلق، في سبيل البحث...، نفس المرجع، ص ص 54، 72.

[3]- ميشيل عفلق، في سبيل البعث، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1959، ص 7.

[4]- ميشيل عفلق، في سبيل البحث، المرجع السابق، ص7.

ويبدو أن الحصري قد أدرك بان سبب إصرار منتقديه على الفصل بين القومية العربية والقوميات الأوروبية هو ما غرس في أذهان الكثير منهم وخاصة المتأثرين بالشيوعية بأن القوميات الأوروبية قوميات توسعية وعنصرية استعلائية، ومرتبطة بالرأسمالية الاستغلالية، مما جعل ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربي يبعد كل هذه الصفات عن القومية العربية فيصفها بالقومية الإنسانية والمتحررة والايجابية والاشتراكية وأنها لا يمكن أن تكون عنصرية أو استعمارية، ويقول أيضا وإذا سلكت بعض القوميات طريق التعصب والطغيان فهل من الضروري أن نسلك هذا الطريق[1].

4- انتقادات الياس مرقص:

يرفض المفكر الماركسي إلياس مرقص طرح الحصري الذي يفصل بين القوميات الأوروبية والاستعمار والعنصرية والاستعلاء، ويرى بحتمية انتقالية قومية من مرحلة ايجابية إلى مرحلة سلبية توسعية وعنصرية وهذا يتضمن إنكار صراع الطبقات داخل الأمة، وبالرغم من ذلك فقد تضمنت القومية جوهرا ايجابيا هو الطموح إلى الاستقلال الوطني والوحدة القومية، والنزوع إلى تكوين الدولة القومية كمطلب ضروري من مطالب التقدم التاريخي[2].

لكن يبدو لنا أن مرقص قد تخلى بعد أربع سنوات عن ذلك الانتقاد الذي وجهه لفكر الحصري بشأن مصطلح القومية، بل وأكثر من هذا فأنه تبنى دعوة الحصري المفكرين العرب إلى عدم المزج بين مبدأ القومية والنزعات الفاشية واليمينية المتطرفة وهذا ما نلاحظه عندما يورد مرقص نفي ستالين المتأثر به[3].

---

[1]- ميشيل عفلق، معركة المصير الواحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، بيروت، 1972، ص 144.

[2]- إلياس مرقص، المرجع السابق، ص 376.

[3]- إلياس مرقص، الماركسية والمسألة القومية، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص 133.

الفصل الثالث

محتوى الفكر القومي العربي عند ساطع الحصري

المبحث الأول: مفهوم الأمة العربية مقوماتها وخصائصها

يرى الحصري أن هناك حقائق يجب أن يعرفها كل عربي ويؤمن بها أشد الإيمان وتأتي على رأس هذه الحقائق " إن بلاد العرب ليست الجزيرة العربية وحدها، كما يزعم البعض، ان كل من ينتسب إلى البلاد العربية، ويتكلم باللغة العربية هو عربي مهما كان اسم الدولة التي يحمل جنسيتها وتبعيتها بصورة رسمية، ومهما كانت الديانة التي يدين بها، والمذهب الذي ينتهي إليه، ومهما كان أصله ونسبه، وتاريخ حياة أسرته فهو عربي والعروبة ليست خاصة بأبناء الجزيرة العربية، ولا مختصة بالمسلمين وحدهم، بل أنها تشمل كل من ينتسب إلى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية[1].

ويعتبر الحصري العرب أمة واحدة بسبب ارتباطهم بلغة واحدة وتاريخ مشترك وهما من المقومات الأساسية التي تشكل أية أمة –حسب نظرة الحصري–إلى القومية، إلا انه يرى أن العرب يرتبطون بروابط أخرى ثانوية الاتصال الجغرافي، والترابط الاقتصادي والتجارب العاطفي[2].

ويعترف الحصري بأن هذه الأمة العربية لم تكن موجودة بهذه الحدود منذ القديم بل تشكلت عبر تطورات تاريخية فمن المعلوم أن كثيرا من البلاد العربية لم تكن عربية قبلا ثم أصبحت عربية، وظلت عربية إلى الآن. لكن لم يغص الحصري كثيرا في عمق التاريخ ليكشف العوامل المختلفة التي شكلت الأمة العربية كما فعل عبد العزيز الدوري بل اكتفى بالقول بكون الدين الإسلامي قد لعب دورا كبيرا في نشر اللغة العربية وتوسيع حدود البلاد العربية، فأن الفتوحات العربية التي أعقبت ظهور الإسلام نشرت الديانة الإسلامية من ناحية واللغة العربية من ناحية أخرى[3].

ولم يتعمق الحصري في تفسير العوامل التي جعلت اللغة العربية تنتشر في بعض المناطق فقط ولم تنتشر بقوة في مناطق أخرى ويؤكد لنا كل هذا نقطة الضعف الكامنة في فكره، والمتمثلة في عدم تركيزه وتعمقه في التاريخ البعيد الذي يمكن أن يكشف له أكثر من

[1]– ابو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي، المصدر السابق، ص 70.

[2]– ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 164.

[3]– عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص132.

عوامل الصيرورة التاريخية للأمم وتشكلها. ويعتبر الحصري أن العروبة تستند على أساس ثقافي لا عرقي، انما متعلقة بروابط اللغة والثقافة والتاريخ، ويمكن لنا أن نفهم حدة موقفه بشأن الانتماء إلى العروبة ما دمنا نعلم مدى رفضه لنظرية المشيئة والرغبة في العيش المشترك[1].

ونلاحظ أيضا أن الحصري من الأوائل الذين وسعوا حدود الأمة العربية إلى إفريقيا عند تحديده للبلاد العربية، وقد كان جل المفكرين العرب قبل الحرب العالمية الأولى لا يتعدون آسيا العربية في تحديدهم الحدود الطبيعية للوطن العربي، ويبدو أن هذا الموقف من المفكرين القوميين العرب المسيحيين يعود إلى خشيتهم من إغضاب كل من فرنسا وبريطانيا التين تسيطران على كل من المغرب العربي ومصر، عكس الحصري المسلم المعادي للاستعمار مهما كان سواء كان أوروبيا أم تركيا إسلاميا، دون أن ننسى أن رواد القومية العربية في المشرق العربي قد واجهوا التواجد العثماني، أما الحصري فقد واجه في عصره التواجد الفرنسي والبريطاني في المنطقة[2].

ولاحظنا في دراستنا لفكر الحصري أنه قد تجنب الحديث في كتاباته عن مختلف هذه الأقليات العرقية والقومية باستثناء اعترافه بحق الأكراد في العراق في الدراسة بلغتهم الكردية، وسعي عندما كان مسؤولا في المعارف الى ترجمة الكتب المدرسية المقررة في كل العراق من اللغة العربية إلى اللغة الكردية، لكنه اشترط تعلم اللغة العربية من قبل الأكراد[3].

ونعتقد أن الحصري لا يعارض مطالب الأقليات القومية والعرقية في الوطن العربي في دراسة لغاتهم لكن بشرط تعلم اللغة العربية أيضا مثلما فعل مع أكراد العراق، وكذلك لا ينكر الاعتزاز بالماضي التاريخي العريق للمصريين أو اللبنانيين وغيرهم، بل يعتبر ذلك حقا من حقوقهم، إلا انه ضد التنكر للعروبة بحجة الارتباط بهذه الحضارات العريقة كالفرعونية والبابلية والفينيقية وغيرها[4].

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في القومية العربية، المصدر السابق، ص 87.

[2]- عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1960، ص 70.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ج1، المصدر السابق، ص ص 457، 460.

[4]- ابو خلدون ساطع الحصري، دفاع عن العروبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1985، ص 82.

وما يهمنا من ذلك هو انه اذا كانت مسألة الأقليات الدينية قد حلها الفكر القومي العربي بالدعوة إلى العلمانية، فأنها تشكل تحديا بالنسبة للفكر القومي العربي، ويمكن أن يعتقد البعض أن صعوبة هذا التحدي وحساسية هذه القضية هي التي جعلت الحصري يتجنب الخوض في هذه المسألة في كل كتاباته القومية، إلا أننا نعتقد أن عدم التطرق لهذه الأقليات يعود إلى تركيز الحصري على عوامل الوحدة وإهماله لعوامل التفرقة، مما جعل معن بشور ينتقد الفكر القومي العربي ويفكر هذه العوامل أدى إلى التفجير المتلاحق لهذه القضايا، ولعل شعور الحصري بثقل وخطورة هذه القضايا بالإضافة إلى بروز عدة دعوات وانتماءات إقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرها، هي التي جعلته يرفض رفضا باتا ما يطرحه منتقدوه كميشيل عفلق وغيره. ويعتقد هؤلاء أن وحدة الأمة العربية بديهية من البديهيات التي لا تحتاج الى نقاش وبرهنة ان القومية العربية هي واقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نقاش أو جدال لا موجب لأن نناقش في انتا عرب أم لا ولكن يجب أن نختار ونحدد مضمون العروبة في المرحلة الحاضرة. وقد رد الحصري علي هذه الانتقادات بأنه لا يمكن حل مسألة الوحدة العربية والقضاء على التجزئة العربية قبل الإجابة عن إشكالية هل نحن عرب ام لا؟ وهل العرب أمة واحدة أم أمم متعددة؟[1].

[1]- معن بشور، معوقات الوحدة العربية والمعوقات الذاتية لدى الوحدويين العرب، مجلة المستقبل العربي، عدد 4 1989، ص 33.

المبحث الثاني: التجزئة العربية وجذور الإقليمية ومواجهتها

يرى الحصري مثل الكثير من القوميين العرب أن الأمة العربية كانت موحدة عبر تاريخها الطويل، ويورد خريطة زمنية في كتابه العروبة بين دعاتها ومعارضها يبين فيها حدود البلاد العربية، وتبين هذه الخريطة في نظره ان العالم العربي لم ينقسم في اي عهد من عهود تاريخه الطويل بقدر ما انقسم منذ ثلث قرن ويحمل الاستعمار مسؤولية هذه التجزئة العربية وظهور كيانات أو ما يمكن تسميته بالدولة القطرية العربية التي ظهرت بعد الاستقلال. ويرى بأنه من الممكن أن تتوحد البلاد العربية بعد استقلالها مثلما توحدت اندونيسيا، لكن لم يحدث ذلك في البلاد العربية لأن استعمار دول أوروبية عديدة ونشب مخالبه في مختلف أجزاء البلاد العربية في أزمنة مختلفة، وفي ظروف متباينة، وبأشكال متنوعة وأدت ثورة كل جزء من أجزاء البلاد العربية التي تكوين حكومة وطنية تتمتع باستقلال جزئي مقيد بقيود عديدة مقترنة باحتلال عسكري فعلي[1].

ولكن نعتقد أن هناك مبالغة كبيرة جدا من الكثير من القوميين العرب ومنهم الحصري في تحميل الاستعمار والقوى الأجنبية ماسي الوطن العربي، وخاصة مسألة التجزئة العربية، حتى أصبحوا يستعملون مصطلح التجزئة الاستعمارية، وربما بهدف ترسيخ فكرة أن الدولة القطرية من نتائج الاستعمار، وبالتالي لابن من معاداتها وتدميرها أنشأ لدى العرب عقدة المؤامرة الخارجية. وأكثر من كل هذا أن هذه الفكرة أبعدت الفكر القومي عن التناول الموضوعي والشجاع للعوامل الداخلية التي كانت في الحقيقة وراء العديد من المآسي العربية، والتي وجد فيها العدو الخارجي منفذا للتسلل إلى الداخل وتنفيذ مخططاته[2].

ويرفض الحصري الطرح القائل بأن التجزئة العربية لم تكن فقط من نتاج الاستعمار بل الكثير من الدويلات لم تكن الا امتدادا لكيانات قائمة من قديم الزمان ويستند إلى نشوء كيان الأردن. لكن الكثير من الباحثين أثبتوا عكس ما يراه الحصري ومن هؤلاء الباحثين إيليا حريق تأكد أن خمسة عشر دولة من الدول العربية حاليا قد ظهرت تاريخيا حصيلة لعوامل داخلية أصلية وإقليمية لا علاقة لها بالاستعمار، ومعظمها سابق لظاهرة الاستعمار الأوروبي

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص ص 133- 134.

[2]- Général Cartoux, Deux missions au Moyen Orient(1919-1922), plon 26 paris 1958 p57

في منطقتنا، ويذهب الباحث التونسي عبد الباقي الهرماسي نفس المذهب في دراسته لنشوء دول المغرب العربي مستعينا بالمنهج الخلدوني المبني على العصبية القبلية[1].

ويعتبر الحصري أيضا أن تعدد الدول العربية، كان وراء ضعف الشعور القومي العربي، لان كل دولة من هذه الدول أصبحت بؤرة الوطنية خاصة بها وأخذت تستقطب ولاء الأهلين، التي تعمل في اتجاه يخالف مقتضيات الوحدة العربية وتعرقلها. وقد كان مثالا حيا للمناضل من اجل الوحدة العربية والمكافح الفذ ضد النزعة الإقليمية حيث خصص الكثير من كتاباته ومحاضراته لتفنيد طروحات دعاة الإقليمية في الوطن العربي يعتبر أن دعاة العامية هم الذين يشكلون اكبر خطر على الأمة العربية الواحدة[2].

ونشير أيضا إلى أن الحصري قد ركز كثيرا في كتاباته القومية على عروبة مصر فالمصريون عرب باللغة والثقافة والتاريخ، حتى ولو أن الكثير من المصريين لا يؤمنون بفكرة العروبة في ثلاثينات هذا القرن، لان مصر حسب الحصري كانت قد انفصلت عن السلطنة العثمانية انفصالا فعليا قبل انفصال سائر البلاد العربية، ومنيت مصر بذلك بمشاكل ورزايا خطيرة جعلتها تنكمش على نفسها من الوجهتين المادية والمعنوية. وهذه الظروف هي التي هنا سمحت بانتشار نزعات إقليمية في مصر معادية للقومية العربية مثلما اعتبر الحصري فكرة رابطة البحر الأبيض المتوسط التي يدعوا اليها بعض المصريين المتأثرين بالفكر الفرنسي، وعلى رأسهم طه حسين بأنها فكرة من صنع الاستعمار الفرنسي[3].

وحذر الحصري مصر من مغبة الانسياق وراء هذه الفكرة الاستعمارية· ويرى أنه لا توجد أية علاقة بين ثقافة البلاد العربية، ومنها مصر مع ما يسمى بثقافة البحر الأبيض المتوسط، لأن اللغة هي المظهر الأساسي للثقافة ولما كانت لغة هذه البلاد عربية، فأن ثقافتها أيضا ستكون عربية، وتشترك هذه البلاد في أمور الثقافة مع سائر البلاد العربية، لا مع اقطار البحر الأبيض المتوسط. وقد ناقش أيضا أطروحات انطوت سعادة مؤسس الحزب القومي السوري الاجتماعي التي سردها في كتابه ' نشوء الأمم' في قسم كبير من كتابيه

[1]- محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1987 ص 16.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في القومية العربية، المصدر السابق، ص 89.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في القومية العربية، المصدر السابق، ص ص 42 – 43.

'العروبة بين دعاتها ومعارضيها ' و'دفاع عن العروبة '، وأعجب بنشاط الرجل واندفاعه، وتحبذي لمعظم المبادئ الإصلاحية التي يذكرها في تعاليمه، كما لا يسعني إلا أن اقدر سعيه وراء دعم آرائه السياسية والاجتماعية بنظرات علمية، غير أني آسف كل الأسف على خميرة الضلال التي استولت على ذهنه، وأبعدته في كثير من المواقف والأمور عن مناحي الأبحاث العلمية، وحجبت عن أنظاره كثيرا من الحقائق الاجتماعية[1].

ونشير إلى أن انطون سعادة يرى بأن الأرض والبيئة الجغرافية من العوامل المؤثرة في سير التاريخ ونشوء الأمم، وبأن اللغة في نظره ليس لها أية علاقة بالقومية. وقد فند الحصري بالدليل القاطع في نظرنا هذا الطرح لأنه إذا نظرنا إلى الأمور من وجهة الأحوال الطبيعية والمناخية، رأينا أن سوريا تشبه تونس أكثر مما تشبه العراق، والعراق يشبه مصر أكثر مما يشبه سوريا، أن انطوت سعادة نفسه يربط – في جميع كتاباته – قرطاجة بسورية، فكيف يسوغ له ألا يعترف بوجود رابطة محكمة بين سوريا وتونس؟ انه يدخل قرطاجة والقرطاجيين في عداد المفاخر القومية السورية، فبأي حق يخرج الأندلس والأندلسيين من نطاق هذه المفاخر[2].

ولم يكتف الحصري فقط بتفنيد النزعات الإقليمية في الوطن العربي باعتبارها خطرا يهدد القومية والوحدة العربية، بل اعتبر أيضا أن النزعات الأممية كالشيوعية وفكرة الوحدة الإسلامية خطر على فكرة القومية العربية التي مازالت في المهد، ونلاحظ تركيزه على انتقاد فكرة الوحدة الإسلامية التي اعتبرها مستحيلة التحقيق، وان إثارة مسألة الوحدة الإسلامية المرتبطة بالخلافة الإسلامية يضر بقضية الوحدة العربية وفكرة التضامن الإسلامي في وقت واحد، لأن الساسة الأوروبيين الاستعماريين يسعون دائما لوصم جميع الحركات الوطنية والقومية بوصمة التعصب الديني ليثيروا الرأي العام الأوروبي عليها[3].

ويستند الحصري في دعم رأيه المناهض لفكرة الوحدة الإسلامية على أراء جمال الدين الأفغاني الذي اعتبر في البلاد العربية داعيا إلى الوحدة الإسلامية، ومعارضا للنزعات القومية اعتبر بين الأتراك من أعاظم مروجي القومية التركية وخادميها. ويرى الحصري أن

[1]- نفس المصدر، ص 89.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 106.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص ص 56– 57.

ما يقصده الأفغاني من كلمة الوحدة الإسلامية هو الأخوة الإسلامية، غير أني أرى من الضروري أن اطلب إليهم أن يحافظوا على اعتقادهم في إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية، غير أن عليهم أن يسلموا في الوقت نفسه بضرورة السعي إلى الوحدة العربية، على الأقل كمرحلة من مراحل تحقيق الوحدة الإسلامية التي يعتقدون بها[1].

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، صص 177، 196.

المبحث الثالث: الوحدة العربية (شكلها ووسائل تحقيقها)

يعتبر الحصري أن إيقاظ الشعور بالقومية العربية وبث الأيمان بوحدة هذه الأمة هو أول عملية ضرورية لتحقيق الوحدة العربية لأنه بذلك تزول العقبات التي تعترضها أي الوحدة العربية بكل سهولة. ولهذا فان النضال في سبيل النهضة القومية، يتطلب بذل المجهود لبث الإيمان القومي في النفوس ولتقوية هذا الإيمان وتغذيته بكل الوسائل الممكنة. ويعتقد الحصري بأن الوسيلة المفضلة في نشر الإيمان القومي هو التربية والتعليم، خاصة دروس التاريخ التي من واجبنا أن نتخذها محورا للتربية القومية، فتسعى لإزالة آثار الدعايات السابقة اولا، ولتجديد وتقوية نزعة الوحدة وأمل النجاح ثانيا[1].

ويعتبر الحصري توحيد الثقافة في البلاد العربية من أهم العوامل التي تهيء سائر أنواع التوحيد، ولا يقصد بتوحيد الثقافة توحيد البرامج ومناهج الدراسة بين كل الأقطار العربية، فهو ضد أولئك الذين يقولون بتوحيدها على الإطلاق، مثلما هو ضد القائلين بتنويعها دون قيد او شرط، بل يذهب إلي ابعد من ذلك، ويدعو إلى تنويع الدروس بين منطقة وأخرى في القطر الواحد بسب اختلاف البيئات والظروف المحلية، لأن التعليم لابد أن يستند على ما يلاحظه الأطفال والطلاب[2].

إلا أن تعلق الحصري الشديد بالوحدة العربية جعله يؤيد كل خطوة في اتجاه الوحدة العربية مهما كانت ضئيلة فأيد ما قام به آل سعود من توحيد الجزيرة العربية رغم اختلافه معهم بسبب ولائه للهاشميين. كما أيد نشوء جامعة الدول العربية في عام 1945، ويبدو كأنه لم ينتبه إلى أن بريطانيا كانت وراء إنشاء جامعة الدول العربية بهدف امتصاص الرغبة الجامحة لدى الشعوب العربية في تحقيق الوحدة العربية. ولم يتراجع عن آرائه في جامعة الدول العربية، إلا بعد ما تبين له دورها في عرقلة وحدة الأمة العربية، أن فكرة القومية

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في القومية، المصدر السابق، ص 36.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، اراء وأحاديث في العلم والاخلاق والثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص ص 93-94.

العربية لم تستفد من جامعة الدول العربية استفادة تستحق الذكر، وبسببها حدث نوع من الفتور في الحركات القومية أعقبه شيء من الارتداد في بعض البلاد[1].

إلا أن المتفحص لآراء الحصري يلاحظ تركيزه الكبير على نشر الإيمان القومي بواسطة التعليم وتوحيد الثقافة كوسيلة أساسية وضرورية لتحقيق الوحدة العربية الفعلية، وذلك لتأثره بوظيفته كرجل تربية وتعليم من جهة، وتأثره كذلك بفيخته رائد القومية الألمانية من جهة أخرى. ونعتقد أيضا أن التربية الدينية التي تلقاها الحصري في صغره على يد أبيه رسخت في ذهنه فكرة أن تحقيق أي فكرة على ارض الواقع تستدعي قبل كل شيء نشر الإيمان بها مثلما يعمل الأنبياء والمبشرون الدينيون[2].

ولعل غلبة طابع الدعوة والتبشير بالفكرة القومية في كتابات الحصري ومحاضراته، هو الذي جعل الكثيرون يرون بأنه لم يعط للسياسة من تنظيم وحركات وتفاعلات اجتماعية طبقية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية حقها في هذا الميدان وبأن الوحدة العربية لازالت بعيدة المنال طالما أن سبل تحقيقها لا تزال غير واضحة في أذهان العاملين لها، مهما بلغت درجة إخلاصهم وتضحياتهم[3].

ومن الآراء والتصورات العامة التي يحتويها الفكر القومي العربي بخصوص مسألة وسيلة وكيفية تحقيق الوحدة العربية، يمكن لنا ذكر الطرح القائل بضرورة إرساء الشروط الموضوعية لبناء سوق عربية مشتركة وإقامة وحدة اقتصادية عربية. ولا يرفض الحصري أية وحدة اقتصادية لكنه يرى بان ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بعد أن يؤمن الجميع بان العرب أمة واحدة. ولكن يبدو انه يرفض الفكرة الوحدوية القائلة بتحقيق التجمعات أو الوحدات الإقليمية العربية كمرحلة تدريجية لتحقيق الوحدة العربية الشاملة، ونستند في ذلك إلى رفض الرأي القائل بأن الوطن العربي مقسم إلى وحدات إقليمية جغرافية، ويعتبر أن هذا التقسيم كان موجودا قبل الحرب العالمية الأولى، لكن بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت أحوال العالم العربي[4].

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، المصدر السابق، ص ص 69 – 70.

[2]- نظمي وميض جمال عمر، فكر ساطع الحصري القومي، المرجع السابق، ص150.

[3]- نظمي وميض جمال عمر، فكر ساطع الحصري القومي، المرجع السابق، ص150.

[4]- أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 106.

أما بشأن الطرح الشيوعي القائل بأن العرب أمة في طور التكوين، وستكتمل شروط تكوينها عن طريق عوامل التطور الرأسمالي وتوحيد السوق على يد البرجوازية العربية. فأن الحصري يرفض هذه الفكرة رفضا باتا مادام أنه يرفض فكرة أن القومية وليدة الرأسمالية في القرن 19م[1].

وبالإضافة إلى هذه الطروحات والآراء المختلفة حول كيفية تحقيق الوحدة العربية، فإن هناك رأيا يقول بأن الديمقراطية هي الوسيلة المثلى لتحقيق الوحدة العربية، لان إعطاء الشعب السلطة الحقيقية في الوطن العربي يجعله يحطم أصحاب الامتيازات والزعامات المعادية للوحدة والمستفيدة من الدولة القطرية، وسينجر عن ذلك تحطيم الحدود القطرية ويعلق الباحث نديم البيطار المتميز بمقاربته التاريخية لموضوع الوحدة حول هذه الآراء والأفكار التي قيلت حول الطريق إلى الوحدة العربية، وقد نشر في عام1979 بحثا قيما تحت عنوان <من التجزئة إلى الوحدة> درس فيه مختلف التجارب الوحدوية في التاريخ بهدف استخراج القوانين الأساسية التي تجعل أمة تنتقل من حالة تجزئة الى حالة وحدة[2].

ويبدو لنا من خلال دراساتنا لفكر الحصري انه قريب جدا من طرح نديم البيطار في مسألة ضرورة توفر إقليم أو قاعدة يقود عملية الوحدة العربية. ويريان لمصر دورا كبيرا في النهضة القومية العربية، ومن المفروض أن تكون زعيمة القومية العربية بسبب موقعها، ولأنها أكبر كتلة من الكتل التي انقسم إليها العالم العربي بحكم السياسة والظروف، بالإضافة إلى أنها قد أخذت حظا أوفر من غيرها من الحضارة العالمية الحديثة، وأن سبب فشل حزب البعث العربي في مهمته الوحدوية هو ضعف تواجده في مصر رغم انتشاره في معظم الأقطار العربية، وأن ما رفضه الحصري في مشروع البعث السوري ليست دعوته الفيدرالية بل ترك المشروع بالحرية المطلقة لكل إقليم في التشريع حتى في المجال الاجتماعي والاقتصادي والمؤسسات، ويبدو أنه يحبذ وحدة عربية شبيهة باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، أي كل جمهورية تحافظ على خصوصياتها لكن في إطار دستوري ونظام اجتماعي واقتصادي واحد[3].

---

[1]- حمادي سعدون وأخرون، المرجع السابق، ص 301.

[2]- سعدون حمادي، أراء حول قضايا الثورة العربية، دار الطليعة، بيروت، 1985، ص ص 155، 157.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص 89.

ونلاحظ أن الحصري قد برأ عبد الناصر ومصر، ولم يحملها أية مسؤولية في فشل الوحدة المصرية–السورية، رغم تحميل بعض المؤرخين لعبد الناصر الكثير من الأخطاء في تسييرها، ولعل هدف الحصري من عدم المساس بمصر وعبد الناصر هو خشيته من فقدان العرب ثقتهم في الزعيم القومي وفي دولة مصر التي يعتبرها الإقليم القاعدة التي من المفروض إن تقود العرب إلى وحدتهم القومية، ويحمل الحصري أيضا الاستعمار قسطا كبيرا من المسؤولية في فشل الوحدة المصرية–السورية كما هي عادة القوميين العرب دائما، لكن دون أن ينسى هذه المرة تحميل البعث مسؤولية نجاح الخطة الاستعمارية، ونعتقد أن هذا هو اكبر تفتيت خطط له الاستعمار للمجتمع العربي[1].

لكن رغم غياب كل هذه الأمور عن الحصري في وقته، فأنه كان يدعو الى ضرورة القضاء على مخلفات الاستعمار بتوحيد البلاد العربية للقضاء على التجزئة الاستعمارية، ونشر الثقافة القومية كاللغة والتاريخ للقضاء على المسخ الثقافي الاستعماري، ويحبذ الحصري سياسة المراحل لتحقيق الاستقلال الوطني التام[2].

لكن يمكن أن يقول دارس للحصري أن هذه الخطة لا يعتبرها ملائمة إلا في مواجهة الاستعمار البريطاني الذي يختلف في نظره عن الاستعمار الفرنسي لأن السياسة التي يسير عليها الانجليز في حكم الشعوب تختلف عن السياسة التي يتبعها الفرنسيون اختلافا جوهريا أما نظرته إلى الاستعمار الفرنسي فقد استوحاها مما لقيه صديقه فيصل وحكومته التي كان هو عضوا فيها في سورية على يد الجيش الفرنسي، ويبدو أن سياسة المراحل كان سيفضلها حتى ولو كان في مواجهة الاستعمار الفرنسي، لأنه هو نفسه يرى أن سياسة الملك فيصل الأول نابعة من تأثيرات الوضع السياسي العالمي والمحلي الذي هو نفس الوضع سواء في مواجهة بريطانيا أو فرنسا[3].

ونظن أن الحصري يرفض العنف الثوري المسلح ضد الاستعمار مهما كان لعدة أسباب ومنها تفوق الأوروبيين الهائل من حيث وسائل الإخضاع ووسائط التدمير. وأن أية محاولة للقيام بعمل مسلح مالها الفشل، ولا ننسي انه مثقف يقوم بكل الحسابات، وخاصة

[1]– ابو خلدون ساطع الحصري، الاقليمية جذورها وبذورها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص 29.

[2]– ابو خلدون ساطع الحصري، حول القومية العربية، المصدر السابق، ص 222.

[3]– ابو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، المصدر السابق، ص 20.

نتائج اي عمل، فهو مثل أغلبية المثقفين الذين يرفضون المغامرة، وليس هذا هو السبب الوحيد لتصوره لكيفية مواجهة الاستعمار، بل انتماؤه الطبقي للأعيان وتأثره بهم أيضا جعله يرفض العنف الثوري المسلح[1].

إن ما يصعب تفسيره لدى الحصري هو عدم ربطه بين الاستعمار والصهيونية، فناقض بذلك طروحات اغلبية القوميين العرب الذين اعتبروا الصهيونية وإسرائيل مجرد قاعدة وضعها الاستعمار والإمبريالية في البلاد العربية لحفظ مصالحه وضرب أية محاولة وحدوية أو نهضوية عربية، ونشير أيضا إلي أنه حذر من استعمال مصطلح الشرق الأوسط لأنه بذلك سيحشر الوطن العربي مع طائفة من البلاد غير العربية، وتطمس بذلك مع الم العربي، لكن ما نستغربه هو عندما ذكر هذه البلدان غير العربية اكتفي فقط بالإشارة الى تركيا وإيران، ولم يشر الى إسرائيل التي هي في الحقيقة الدولة المقصودة إدخالها ككيان أصيل داخل المنطقة العربية من خلال استعمال مصطلح الشرق الأوسط[2].

ويمكن أيضا لأي باحث أن يقول بأن الحصري قد غابت عنه الحيلة الاستعمارية والصهيونية، لكن هذا الطرح مشكوك فيه لأنه يبدو من خلال بعض كتاباته وتجاربه في الحياة أنه يعرف جيدا مؤامرات ودسائس الصهيونية، كما كان يعلم جيدا مدى تغلغل الصهيونية داخل المؤسسات والمنظمات الدولية، فقد نبه الدول العربية من اليهود، ويجدر بنا أن نشير إلى انه لم يستعمل قط مصطلح الصهيونية إلا مرة واحدة، وكأنه لا يميز بين الصهيونية كأيديولوجية عنصرية واليهودية كديانة سماوية[3].

وإما بشأن القضية الفلسطينية فأن الحصري يعتبر تحقيق الوحدة العربية هو الشرط الضروري لمواجهة إسرائيل وتحرير فلسطين لأن العرب لم يخسروا معركة فلسطين في 1948 إلا لأنهم كانوا سبع دول أي بمعنى أن التجزئة العربية كانت وراء نكبة فلسطين[4].

---

[1]- اسماعيل صبري مقلد، في مواجهة إسرائيل، دار الوحدة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1980صص 58،71.

[2]- انور الجندي، مؤلفات في الميزان، المرجع السابق، ص ص 49 – 50.

[3]- ابو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج ا، المصدر السابق، ص 174.

[4]- ابو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في القومية العربية، المصدر السابق، ص 25.

المبحث الرابع: برنامج القومية العربية

إن عدم ربط الحصري فكرة القومية العربية بالاشتراكية كان كافيا لان يقول البعض عن فكره القومي انه لا يحمل أي مضمون اجتماعي يخدم الطبقات الفقيرة في المجتمع العربي. لكن تعمق الباحث في فكر الحصري سيتبين له برنامجه في أهداف مبعثرة هنا وهناك في كتاباته القومية. ويمكن تلخيص هذا البرنامج في دعوته إلى التجديد الحضاري في إطار التواصل مع الماضي، وبناء إنسان عربي جديد، والعلمانية، والديمقراطية، والحرية الاقتصادية مع ضمان العدالة الاجتماعية.

1- التجديد الحضاري في إطار التواصل مع الماضي:

يعترف الحصري بالتخلف الحضاري للعرب. ولعله لاحظ بعض العرب قد تأثروا ببعض الأفكار العنصرية التي تقول بأن تخلف العرب خاصة والشرق عامة قدر محتوم عليهم عكس الغرب والجنس الآري، مما جعله يعلن حربا شعواء ضد هذه الأفكار العنصرية. كما دعا العرب إلى دراسة التاريخ العربي المجيد لكي يكون لهم مصدر الهام ودفع للعمل من اجل استعادة أمجادهم الحضارية[1].

وقد تناول الحصري مسألة النهضة والتجديد الحضاري بكل إشكاليتها وأسئلتها المطروحة، وينطلق عند أجابته على هذه الإشكالية من تحديده وتمييزه بين مفهومي الحضارة والثقافة، فالحضارة عنده تتمثل بأحسن الصور وأجلاها في العلوم والصنائع بوجه عام، وأما الثقافة فتظهر بأجلي مظاهرها في اللغات والآداب بوجه خاص به، وعلى هذا الأساس فان الثقافة تكون في حد ذاتها قومية[2].

والحضارة تكون بطبيعتها أممية، وبناءا على كل ذلك يحصر الحصري الاقتباس في المجال الحضاري فقط ولا يشمل الثقافة لأنها ليست من الأمور التي يمكن اقتباسها ونقلها من الخارج نقلا، بل هي من الأمور التي لابد من تكوينها في النفوس لكن ليس ذلك معناه أننا لا نستطيع أن نستفيد من ثقافات الأمم الأخرى بوجه من الوجوه، كما يرفض اقتصار الاقتباس الحضاري على أوروبا فقط بل يرى ضرورة الاقتباس من اقوى مراكزها (أي

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص 67.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في العلم والاخلاق والثقافة، المصدر السابق، ص 51.

الحضارة)، ومن أحسن مصادرها دون أن نقصر أنظارنا على آفاق البحر الأبيض المتوسط[1].

وأما بشأن العلاقة بين الأصالة والمعاصرة، فانه يبدو لنا معجبا بالتجربتين الصينية واليابانية في هذا المجال حيث عرفت كيف يوفقان بين القديم والجديد، وفي حالة الوطن العربي فان القديم أقوى وأن المحافظة هي الغالبة في المجتمع، ونلاحظ أن الحصري قد انساق وراء مصطلحات الرجعية والتقدم التي هي عادة من استعمال الشيوعيين، لكن هذا لا يدفعنا إلى القول انه قد تخلى عن رأيه في التوفيق والموازنة بين الأصالة والمعاصرة في أواخر حياته، وبعبارة أخرى كان يدعو إلى بناء إنسان عربي جديد بواسطة التربية والتثقيف والتعليم[2].

2- بناء إنسان عربي جديد:

يرى الحصري أن التربية والتعليم في الأمم الراقية تستهدف مواصلة التقدم والرقي والحفاظ على استقرار النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، لكن يختلف الأمر بالنسبة للأمم المتخلفة كالأمة العربية التي يجب أن يكون هدف التربية والتعليم فيها هو تكوين جيل جديد، ويعترف بأن هناك عدة نقائص تكمن في الإنسان العربي المعاصر لا يمكن تجاهلها، ومن هذه النقائص ضعف الوعي القومي والفردية والخمول والسكون والكسل وسيادة الأخلاق السلبية وغياب الأخلاق الفعالة، ولا يمكن معالجة كل هذه النقائص إلا بالتربية والتعليم[3].

وقد تناولنا فيما سبق معالجة الحصري لمسألة ضعف الوعي القومي بواسطة التربية والتعليم، وخاصة تعليم التاريخ وتفنيد الأفكار الإقليمية. أما بشأن النقائص الأخرى فأنه يلاحظ كون العرب بوجه عام أقوياء من حيث الخصال الفردية، ضعفاء من حيث الخصال الاجتماعية، ومن الوسائل التي تنمي هذه الخصال الاجتماعية، يذكر لنا كل من التعليم والخدمة العسكرية الإلزامية التي تكسب الفرد في شبابه عدة صفات كالنظام والانضباط

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع، المصدر السابق، ص 16.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، المصدر السابق، ص ص 446-447.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 86.

الاجتماعي، بل ويعتبر أن الخدمتين العسكرية والمدنية الإلزاميتين لهما تأثير أقوى من المدرسة[1].

وقد جسد الحصري أرائه في التربية الأخلاقية على ارض الواقع عندما كان مسؤولا ساميا في وزارة المعارف في العراق، حيث أعطى أهمية كبيرة لهذا المجال في المدرسة حتى اتهم من طرف معارضيه بالمغالاة في التربية الدينية، كما كان يركز في مقرر التربية الدينية أيضا على الأخلاق السلبية وما يقابلها من أخلاق ايجابية فعالة ومؤثرة[2].

3- العلمانية:

عندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة العثمانية في عام 1924، انقسم المفكرون العرب بين مؤيد لهذا الأجراء ومعارض له، وألف علي عبد الرازق كتابه الإسلام وأصول الحكم في عام 1925 يحاول أن يبرهن فيه على أن الإسلام لم يدع بتاتا إلى إقامة دولة إسلامية، وحصر الإسلام في دعوة دينية بحتة، لا علاقة له بشؤون الدولة والسياسة، ومن الممكن أن تكون هذه الدعوة العلمانية لعلي عبد الرازق أحد أسباب نشوء حركة الإخوان المسلمين، ورفعت شعار أن الإسلام دين ودولة[3].

وأيد الحصري في هذا النقاش الفكري موقف علي عبد الرازق الداعي إلى فصل الدين عن السياسة ويستند على الحديث النبوي الشريف " انتم أعلم بأمور دنياكم ". وقد عبر عدة مرات عن دعوته للعلمانية، وركز على التربية الدينية في المدرسة، وحرص على أن يكون الإنسان العربي متدينا، وأيد حركات الإصلاح الديني، واعتبرها مسألة دينية منفصلة عن شؤون السياسة ومسألة القومية والوحدة العربية[4].

ويظهر مفهوم العلمانية عند الحصري بكل جلاء ووضوح عندما يعلن تأييده المطلق لأفكار انطون سعادة ومبادئه الإصلاحية، رغم اعتباره إقليميا معاديا للقومية العربية، وإذ عدنا إلى هذه المبادئ الإصلاحية التي يؤيدها نجدها تتمثل في المبادئ الخمسة للحزب

---

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في التربية والاجتماع، المصدر السابق، ص ص 37،41.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج ا، المصدر السابق، ص 393.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، ما هي القومية ؟، المصدر السابق، ص 199.

[4]- أبو خلدون ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، المصدر السابق، ص 293.

القومي السوري الذي يتزعمه أنطون سعادة وهي فصل الدين عن الدولة ومنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين، وإلغاء الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج، وإنصاف العمال وصيانة مصلحة الأمة والدولة، وإعداد جيش قومي يكون ذي قيمة فعلية في تقرير مصير الأمة والوطن[1].

ويبدوا أن هناك ثلاث عوامل وراء الطرح العلماني للحصري، أولها هي محاولته إيجاد حل لإشكالية وجود أقليات دينية في الوطن العربي، وان وضع قوانين وضعية موحدة لكل الطوائف الدينية سيساعد على الاندماج الاجتماعي في الوطن العربي لكن بأي حق نحرم الأغلبية من التحكيم إلى الشريعة الإسلامية إرضاء الأقلية. ثانيا في دور الدين في الشؤون السياسية لما رآه في الدولة العثمانية من ظلم واستبداد باسم الدين واعتقاده أيضا أن فكرة الخلافة كانت وراء تخلف الوعي القومي العربي، ثالثا كما لا يخفى مدى تأثره بالفكر الفرنسي الذي هو في نظرنا المصدر الفكري لطرحه العلماني بالإضافة إلى جهله للفكر الإسلامي[2].

4- الحريات والديمقراطية:

يؤمن الحصري إيمانا شديدا بالحريات السياسية بما فيها حرية الرأي والتعبير، لكن لا يمكن إطلاق الحريات دون قيد إلى درجة تصبح فوضى وتهدد الوحدة الوطنية والمصلحة القومية ويبدو لنا انه من دعاة الحرية بشرط أن لا تمس بمصلحة الأمة العربية، وأنه يوافق الشعار الذي رفعه البعث العربي في الستينات " لا حرية لأعداء العروبة " إلا انه يرفض أن تصبح هذه الحرية مسموحة فقط لحزب واحد، فهو ضد الحرية الضيقة أو نظام الحزب الواحد، وهذا يدفعنا إلى الاستنتاج أن الحصري ضد احتكار فكرة العروبة من طرف حزب معين، ولعل هذا هو احد أسباب عدم انخراطه في أي حزب قومي عربي، بالإضافة إلى

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 82.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص 63.

رفضه أي انتماء حزبي ضيق يمكن أن يحول في اعتقادنا دون نشر أفكاره القومية في اكبر شريحة ممكنة[1].

ويبدو الحصري من خلال كتاباته القومية انه ديمقراطي مؤمن بالتعددية الحزبية وبتعددية البرامج السياسية، وفسح المجال للشعب أن يختار البرنامج الذي يريده بكل حرية، لكن هذه التعددية تتم في إطار الإيمان بالعروبة وعدم تهديد المصلحة القومية ونعتقد أن إيمان الحصري بالاختيار الحر للشعب هو الجواب الشافي والصريح لكل الذين يتساءلون عن عدم ربطه فكرة القومية بمضمون اجتماعي واقتصادي معين أو بالمنهج الواجب إتباعه في البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأمة[2].

وقد أبرز التاريخ العربي المعاصر آن ربط فكرة القومية العربية بفكرة الاشتراكية في الستينات، قد أضرت بالفكرة القومية أكثر مما أفادتها، لأنها خلقت صراعا طبقيا في جسم الأمة من جهة، مثلما جعلت القوميين العرب الاشتراكيين يركزون الكثير من جهودهم في بناء الاشتراكية وأهملوا قضية الوحدة العربية. وقد عبر الحصري ودافع عن الديمقراطية في وقت كانت فيه البرجوازية العليا في المتحكمة في زمام أغلبية البلدان العربية، وكانت الديمقراطية النيابية الشكلية موجودة في مصر والعراق وسورية، قبل أن تنقض البرجوازية الصغيرة على السلطة، وترفع شعارات الحرية والاشتراكية والوحدة، ورفض الديمقراطية التي كانت أحد أسباب مآسي العرب ونكبة فلسطين في نظر هذه الأنظمة العربية الجديدة[3].

وقد انتقد ألحصري أيضا تلك الديمقراطية النيابية، إلا انه في الحقيقة يرفض أيضا طرح هؤلاء الحكام الجدد الذين حملوا الديمقراطية النيابية كل الشرور، ويرى ضرورة التدرج بحكمة في ممارسة الديمقراطية، لكنه لم يوضح إذا كان لكل مواطن مهما كان الحق في خوض الانتخابات المحلية والبرلمانية، أم تقتصر فقط على طبقة معينة، مثلما كانت في الأربعينات أين احتكرت طبقة الأعيان والبرجوازية العليا الحياة السياسية[4].

---

[1]- أبو خلدون ساطع الحصري، صفحات من الماضي القريب، المصدر السابق، ص 42.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 52.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، الاقليمية جذورها وبذورها، المصدر السابق، ص 605.

[4]- أبو خلدون ساطع الحصري، أحاديث في التربية والاجتماع، المصدر السابق، ص 79.

5- الحرية الاقتصادية مع ضمان العدالة الاجتماعية:

إن فصل الحصري بين مبدأ القومية والمضمون الاجتماعي، وترك مسألة البرامج للاختيار الحر للشعب ليس معناه أنه لم يتطرق إلى المسألة الاجتماعية، بل هو يصرح بأنه عدو للإقطاع، ولعل هذا العداء الذي يتوخاه كل مؤمن بالنهضة والتقدم يعود إلى إدراك الحصري بأن الإقطاع في أوروبا كان وراء عرقلة التقدم الاقتصادي والصناعي والتجديد عكس الطبقة البرجوازية، والتي كانت وراء الثورة الصناعية والفكرية والتقدم بكل أشكاله في أوروبا، ولهذا نلاحظ بأن الحصري لم تغب عن ذهنه دور البرجوازية في أي عملية نهضوية، إلا انه لم يصرح بها لكي لايتهم بخادم المصالح البرجوازية في الوطن العربي[1].

ويبدو لنا أن هذه دعوة صريحة من الحصري إلى ليبرالية اقتصادية أو رأسمالية صناعية وتجارية، يمكن أن تظهر طبقة برجوازية قوية عن طريق تشجيع ذلك، وبالتالي تقود هذه الطبقة النهضة والتقدم العربي. ونعتقد أنه حريص على العدالة الاجتماعية كذلك يدرك جيدا مدى عداء الشيوعيين للفكرة القومية، وقد شاهد بنفسه الصراع المرير بين الشيوعيين في البلاد العربية والقوميين في المشرق العربي. ولعل هذا التخوف من الشيوعيين دفعه إلى التركيز على العدالة الاجتماعية لسد الطريق أمام الفكرة الشيوعية[2].

ويشبه إيمان الحصري بالعدالة الاجتماعية -نوعا ما- إيمان العبثيين والناصريين بما أسموه الاشتراكية العربية، ويبدو أن الهدف من دعوتهم هو سحب البساط تحت أقدام الشيوعيين الأميين الذين يستغلون دعوتهم للاشتراكية للتغلغل في صفوف فقراء ومحرومي الوطن العربي.

---

[1]- ابو خلدون ساطع الحصري، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، المصدر السابق، ص 52.

[2]- ابو خلدون ساطع الحصري، أحاديث في التربية والاجتماع، المصدر السابق، ص 80.

الفصل الرابع

الفكر القومي العربي المعاصر وموقعه من الفكر الحصري

المبحث الأول: حزب البعث العربي

يعتبر زكي الأرسوزي المؤسس الروحي لحزب البعث العربي الاشتراكي، حيث كان هو وأغلبية مؤسسي البعث أعضاء في عصبة العمل القومي العربي، لكنهم انسحبوا من هذا التنظيم في عام1939 بسبب دخول صبري العسلي إلى المجلس النيابي السوري مخترقا بذلك قانون التنظيم الذي يمنع ذلك، ويمنع كل تعاون مع سلطات الانتداب. وأسس الأرسوزي بعد الانسحاب من عصبة العمل القومي تنظما جديدا اطلق عليه الحزب القومي العربي، وذلك بعد اجتماع ضم كل من ميشيل قوزماء وميشال عفلق وصلاح الدين[1].

ظهر البعث العربي على يد طبقة برجوازية صغيرة كغيرها من التنظيمات التي برزت بقوة آنذاك كالإخوان المسلمين، والحزب القومي السوري، ومختلف التنظيمات الشيوعية وتعترف إحدى وثائق البعث انه قد ظهر كرد فعل على الأممية التي يمثلها الحزب الشيوعي، والإقليمية الممثلة في الحزب القومي السوري، والرجعية والجمود التي يمثلها الإخوان المسلمون، ويعتبر مؤسسو البعث العربي أنفسهم أنهم يمثلون الاستمرارية للثورة العربية الكبرى في 1916، واتخذوا علمها علما لحزبهم، وكانوا يرون أن قيادة تلك الثورة المنتمية للطبقة الإقطاعية والبرجوازية العليا قد انتهى دورها، وتحولت إلى عائق للوحدة العربية، مما يستدعي انتقال القيادة الى جيل جديد ينتمي الى الطبقات المتوسطة [2].

ونعتقد بأنه من هذا المنطلق، ينبثق النقد اللاذع الذي يوجه من طرف البعث للفكر القومي العربي التقليدي الذي يمثله الحصري وآخرون، بل يشير مؤسسو البعث إلى أي تأثير لأفكار الحصري عليهم، فمثلا ميشيل عفلق وصالح الدين البيطار اللذان يمثلان الخط الفكري السليم. من الصعب على الباحث أن يحدد تأثر عفلق بمفكر معين، إلا انه يبدو من

[1]- سامي الجندي، البعث، دار النهار للنشر، بيروت، 1969، ص 20.

[2]- حزب البعث العربي الاشتراكي، نضال البعث في سبيل (الوحدة، الحرية، الاشتراكية)، ج1، دار الطليعة، ط3، بيروت، 1972، ص 14.

الوهلة الأولى أن فكره وحزب البعث يتفاعل مع التراث العربي والفكر الغربي وكذلك الواقع العربي والتحديات التي يواجهها العرب، كما انه من الصعب إطلاق مصطلح فلسفة على فكر البعث بسبب هذه التفاعلات، بل يمكن لنا القول أنها أفكار نبعت من هذه المنطلقات التي ذكرناها[1].

إن شعار البعث هو (الوحدة–الحرية–الاشتراكية) ويقول أيضا بـ " امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، ويعرف البعث الإنسان العربي بأنه من كانت لغته العربية وعاش في الأرض العربية أو تطلع إلى الحياة فيها وتشبعت روحه بالقومية العربية والولاء الخالص للغة العرب وتاريخهم المجيد في الماضي، وكان في ايمانه بوحدة مصيره معهم يتشوق إلى مستقبل خليق بهذا الماضي، ولم يشترك في ولائه لأمة أو فكرة أخرى، ثم كانت أفعاله منسجمة مع عقيدته[2].

ومع ذلك فان هذا لم يمنع البعث من ذكر بعض مقومات الأمة لكن بشكل غير متناسق، ودون التخلي عن فكرة إن الأمة العربية والقومية العربية موجودة منذ القدم، ولم تظهر منذ القرن 19م كما يقول الحصري ذوي التفكير المجرد في نظرهم، والذي نقل مفاهيم القوميات الأوروبية إلى القومية العربية" فهذه الأمة التي تستيقظ اليوم، وتتحفز للنهوض ليست هي بنت اليوم، بل هي نفسها قبل آلاف السنين، ميزتها وحدة الأمل والعنصر يوم كانت الوحدة هي الرابطة المكانية التي تجمع الأفراد وتطبعهم بطابع واحد، وتخلق فيهم نواة واحدة ثم صقلتها وغدتها وحدة اللغة والروح والتاريخ والثقافة، ولما فقد هذا العنصر مكانه الرئيسي بين العوامل المكونة للأمم فقدت الأمة شيء من تجانسها الضيق غير انه عوضت عنه بتنوع في المواهب والكفاءات وانطلاق في الفكر وتسام في المعنى الإنساني[3].

---

[1]- عفلق، المرجع السابق، ص 97.

[2]- حزب البعث العربي الاشتراكي، المرجع السابق، ص 72.

[3]- عفلق، المرجع السابق، ص 211.

وما يعطي ميزة خاصة للبعث هو اعتباره الدين الإسلامي كمقوم أساسي للأمة العربية عكس ما يراه الحصري، في حين أن الإسلام بالنسبة للعرب ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا هو أخلاق مجردة، بل هو اجلي مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم للحياة واقوي تعبير عن شخصيتهم فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذن كعلاقة أي دين بأي قومية" وينطبق ذلك حتى على المسيحيين العرب[1].

ويبدو لنا أن عفلق قد وقع في نفس ما وقعت فيه بعض القوميات الأوروبية العنصرية فنجده يتحدث مثلا عن رسالة العرب واختيار الله لهم بقول يشبه قول بني إسرائيل أنهم شعب الله المختار فالحقيقة الباهرة التي لا ينكرها الا مكابر، هي إذن اختيار العرب لتبليغ رسالة الإسلام كان بسبب مزايا وفضائل أساسية فيهم ويعتبر عفلق الإسلام مجرد حركة قومية أتت بفعل النضال والتجربة والآلام فالإسلام اذن حركة عربية ومعناه تجدد العروبة وتكاملها[2].

ويرفض عفلق الشعار الذي رفعه بعض القوميين العرب ومنهم الحصري والمتمثل في "العروبة فوق الجميع" ويرى فيه انه يناقض رسالة الأمة المتمثلة في الإسلام وأخلاقه ويستبدل هذا الشعار بشعار آخر هو "الحق فوق العروبة" لأن القائلون بان العروبة فوق الجميع يقصدون بالعروبة ما يقرره المجموع، وفي مثل هذا القول خطر، فنحن نؤمن بان العروبة فوق الجميع بمعنى أنها فوق المصالح والاعتبارات الزائفة، ولكن شيئا واحدا نؤمن به فوق العروبة، إلا وهو الحق، فالعروبة يجب أن ترتبط بمبدأ ثابت يكون هو الضامن الواحد المتجدد والمتكامل، لاستمرار حياتها نحو النمو والاتساع، فيجب أن يكون شعارنا الحق فوق العروبة إلى أن يتحقق اتحاد العروبة بالحق[3].

---

[1]- حزب البعث العربي الاشتراكي، نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في المرحلة التأسيسية، دار الحرية للطباعة بغداد، د ت، ص 14.

[2]- عفلق، المرجع السابق، ص 82.

[3]- نفس المرجع، ص 46.

ويؤمن البعث بضرورة تربية الفرد وخلق جيل عربي جديد يتم على يده تحقيق ما يسميه البعث بـ الانقلابية والثورية في جميع مناحي الحياة، وعدم الاكتفاء بالإصلاح الجزئي، والتغيير يبدأ من النفس. وبهذه الطريقة سيتشكل تيار شعبي في كل الوطن العربي الذي سيهدم الحدود لان الوحدة تعني وحدة الفكرة والروح والاتجاه، ولذلك فهي تتطلب أن تتجه للشعب... لتقلب تفكيره ولتجدد روحه ولتوحد اتجاهه، ويرفض البعث النظرة الآتية من الغرب وخاصة نموذج الوحدتين الألمانية والايطالية، بل يستند على النضال الشعبي والسياسي بهدف خلق تيار شعبي موحد، فان حزب البعث العربي هو حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الأقطار العربية، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا[1].

[1]- حزب البعث العربي الاشتراكي، نضال البعثج1، المرجع السابق، ص 56.

المبحث الثاني: الحركة الناصرية

تقول الباحثة ناداف سفران إن المجتمع الإنساني لا يمكنه التمتع بالحيوية والاستقرار، ما لم يرتكز على أساس من الأفكار ونمط تفكير ومبادئ وقيم تكون مقبولة من الجميع إلى هذه الدرجة أو تلك" ولقد قالت ذلك معلقة على أزمة الهوية التي عرفتها مصر في بداية هذا القرن، عندما حاولت مصر تجاوز فكرة الجامعة الإسلامية في غياب جامعة سياسية جديدة[1].

ولا يمكن لأي باحث في تاريخ مصر الحديث أن يتجاهل الصراع حول الهوية التي عرفها هذا البلد خاصة الصراع بين دعاة الجامعة الإسلامية بزعامة مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني، ودعاة المصرية بزعامة لطفي السيد زعيم حزب الأمة ويستند أصحابها على الماضي الفرعوني لمصر، ويرفضون إي ارتباط بالدولة العثمانية عكس دعاة الجامعة الإسلامية[2].

ونجد في مصر إلى جانب هذا الصراع بين الهويتين الإسلامية والفرعونية، عدة تيارات أخرى، فنجد تيار يركز على الهوية الإفريقية لمصر، ويدعوا إلى وحدة وادي النيل- بين مصر والسودان- ويستند هذا التيار على علاقات مصر الفرعونية بأفريقيا، كما نجد أيضا دعاة رابطة البحر الأبيض المتوسط الذين يرون أن الحضارة الغربية ما هي إلا استمرارية للحضارة الفرعونية، ويرى أنصار هذا التيار أن أتباع أوروبا اليوم ما هو إلا عودة إلى الأصل، أما فكرة القومية العربية، فقد كانت ضعيفة الانتشار عند المصرين في العقود الأولى من هذا القرن[3].

---

[1]- محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص ص 10-11.

[2]- محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص 11.

[3]- نبيه بيومي عبدالله، تطور فكرة القومية العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 31.

لكن ما عمق أكثر ابتعاد الشعب المصري عن فكرة العروبة في هذه الفترة هو موقف القوميين العرب الشاميين الذين التجأوا إلى مصر هروبا من البطش العثماني ويتمثل هذا الموقف في تأييدهم للاستعمار البريطاني مما جعل المصريين يربطون بين فكرة القومية العربية والعمالة للاستعمار الأوروبي[1].

ولم تبدأ فكرة القومية العربية تنتشر في مصر إلا بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك بفعل عدة عوامل ومنها مواجهة كل العرب عدو مشترك وهو الاستعمار الأوروبي مما جعل مثلا حزب الوفد يصدر بيانا بعد نكبة دمشق في 1925 يشير فيه إلى أن سوريا تربطنا بها روابط وثيقة، نزلت بها هذه الأيام حوادث هائلة تقشعر لها الأبدان وأننا معشر المصريين لنشعر بكل عطف على إخواننا المصابين ونرثى لمصابهم رثاء الإخوان للإخوان، ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل ما في الإمكان[2].

وقد تعاطف الشعب المصري مع كل القضايا العربية، وقد كانت قضية فلسطين بصفتها قضية إسلامية من أهم القضايا التي شدت انتباه واهتمام الشعب المصري، خاصة وان الخطر الصهيوني يمكن أن يهدد الأمن الاستراتيجي لمصر، وتبين للشعب وللحكومة المصرية انه لا يمكن حل القضية الفلسطينية ومواجهة الخطر الصهيوني الا بالتلاحم مع الشعوب العربية، وكان ذلك منطلقا لخروج مصر عن عزلتها عن العرب، فبدأت الاتصال والتقارب مع البلدان العربية الأخرى، فشاركت في عدة مؤتمرات عربية وإسلامية كمؤتمر القدس في 1931 ومؤتمر بلودان في 1937.. . وغيرها من المؤتمرات[3].

مثلما كان أيضا لتطور المواصلات والاتصالات بين مصر والبلاد العربية الأخرى خاصة الشام والعراق دور في تطور الفكرة العربية في مصر، وكان أيضا للزيارات المشتركة

[1]- محمد محمد حسين، المرجع نفسه، ص 223.

[2]- بيومي عبد الله، المرجع السابق، ص 71.

[3]- المرجع نفسه، ص 68.

للطلبة والمثقفين، وتبادل البعثات التدريسية والمبادلات الثقافية دور كبير في انتشار الفكرة العربية[1].

واعتنق اغلب المثقفين فكرة القومية العربية فيما بعد، ومن المؤكد أن يكونوا قد اتصلوا بالحصري بوصفه أحد كبار مسؤولي المعارف في العراق في فترة الثلاثينيات ونلاحظ مثلا أن مكرم عبيد احد الزعماء الوطنيين الأقباط في مصر يتحدث عن عروبة مصر بحديث يشبه الى حد كبير حديث الحصري في هذا الموضوع، ففي مقالة نشرها بعنوان" المصريون عرب" يقول فيه ليس من حق المصريين أن يديروا ظهورهم للعروبة متمسكين بصلتهم بالمدنية الفرعونية التي انقرضت إلى غير رجعة، فالعروبة ليست جزءا من ماض محنط، انه جزء من حاضر حي"[2].

ويمكن أن يكون مكرم عبيد وغيره قد تأثروا بمقالات ساطع الحصري التي كان ينشرها خاصة في مجلة الرسالة التي يصدرها احمد حسن الزيات في القاهرة، والتي حاول الحصري من خلالها نشر فكرة القومية العربية في مصر وتفنيد كل الدعوات الإقليمية والأممية المنتشرة بقوة في هذا البلد، مثلما نشر أفكاره القومية بمصر بعد توليه مسؤولية الادارة والتدريس بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية منذ عام 1947. ويعتبر حزب مصر الفتاة من التنظيمات المصرية الأولى التي أعلنت عن الانتماء العربي لمصر، والإيمان بالوحدة العربية كمرحلة نحو الوحدة الإسلامية[3].

لكن نعتقد أن عبد الناصر لم يطلع على الفكر القومي للحصري قبل الثورة رغم انتشار كتبه في مصر آنذاك ودليله في ذلك هو إرساله بعد الثورة بسنوات الصحافي محمد حسنين هيكل إلى الحصري يطلب منه كل كتبه، ورغم ذلك فإن هذا لا ينفي إيمان عبد

[1]- محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص 224.

[2]- أحمد حمروش، نبض التاريخ، دار مطابع المستقبل بالقاهرة ومؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د ت ص 144.

[3]- أبو خلدون ساطع الحصري، أراء وأحاديث في الوطنية والقومية، المصدر السابق، ص 45.

الناصر بفكرة العروبة منذ سن مبكرة، فقد رد حول سؤال وجهه له الكاتب الانجليزي دزمونت ستيوارت في 1ابريل1955 عن الوقت الذي بدأ يشعر فيه بفكرة العروبة بقوله أن طلائع الوعي العربي قد بدأت تتسلل إلى تفكيره، وهو طالب في الثانوية، وكان يتفاعل مع كل القضايا العربية وخاصة ثورة العرب في فلسطين وفظائع الاستعمار في سوريا لكن لم تتبلور في ذهنه فكرة القومية العربية كمذهب سياسي الا عندما كان يدرس في كلية أركان الحرب المشكلات الإستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط، ويصبحون عرضة للسيطرة الأجنبية عندما يكونوا مشتتين، فأدرك من خلال كل ذلك بأنه لا يمكن حماية الأمن الاستراتيجي لمصر أو لأي قطر عربي في المنطقة إلا إذا كان متحدا مع الأقطار العربية الأخرى[1].

وهذا ما جعل عبد الناصر يؤمن بوحدة الشعوب العربية ويرفض أي تضامن مع الأنظمة العربية العميلة للاستعمار "... **نحن لن نتضامن مع الخونة، لن نتضامن مع المنحرفين... مع الذين فرطوا في بلادهم... مع الذين باعوا بلدهم للاستعمار... نعتقد بهذا اننا نعبر عن القومية العربية كلها في كل مكان وفي كل بلد عربي**... "، ونستنتج من هذا القول أن عبد الناصر قد أعطى للقومية العربية مفهوما حركيا وثوريا تستهدف إسقاط الأنظمة العميلة للاستعمار، وتوحيد الشعوب العربية[2].

لكن يرى عبد الناصر أن الدائرة العربية هي من أهم الدوائر وأوثقها وأن اللغة والتاريخ والمصير المشترك هي أهم العناصر التي تربط مصر بالبلاد العربية، بالإضافة إلى عنصر الدين الذي يربط مصر ليس فقط مع العالم العربي بل أيضا مع الدوائر الأخرى الإفريقية والإسلامية، إلا انه استبعد عنصر الدين فيما بعد كمقوم للأمة العربية فيحدد ميثاق 1962 مقومات الأمة العربية بوحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل وحدة التاريخ التي تصنع

[1] – مارلين نصر، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (1970–1952) – دراسة في علم المفردات والدلالة–، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1984، ص98.

[2] – بيومي عبد الله، المرجع السابق، ص 197.

وحدة الضمير والوجدان والأمل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير فانه يعتبر أن الدين واللغة والتاريخ المشترك هي العناصر التي كونت الأمة العربية عبر التفاعل التاريخي[1].

ومهما كان فان عبد الناصر كان يحدد في الكثير من خطبه مقومات الأمة الأساسية بدقة والتي تتمثل في اللغة والتاريخ المشترك حيث قال أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1960" كانت للأمة العربية دائما وحدة اللغة العربية، ووحدة اللغة هي وحدة الفكر... وكانت للأمة العربية دائما وحدة التاريخ، ووحدة التاريخ هي وحدة الضمير، ولسنا نرى أساسا قوميا امتن من هذا الأساس ولا اثبت"، وقال أيضا في خطاب له عام 1960" وإذا كان تاريخ أي امة هي صانعة فكرها، فإذا كانت للعرب وحدة الضمير ووحدة الفكر فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب امة واحدة"، بل يحدد ميثاق 1962 الفرق بين الوطنية المصرية والقومية العربية فيقول مثلا" ليس هناك صدام على الإطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية"[2].

ويرفض ميثاق 1962 استعمال القوة كوسيلة لتحقيق الوحدة العربية لأن ذلك خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية، ويرى بأن طريق وشكل الوحدة العربية ليست صورة دستورية واحدة بل هو طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا إلى الهدف الأخير، لكن يعتبر تقرير الميثاق إلى كل ما سبق أن "الجمهورية العربية المتحدة وهي طليعة النضال العربي الثوري، تتحمل مسؤولية إبلاغ دعوة الوحدة ونقل المبادئ التي تتضمنها إلى كل المواطنين العرب" ويشبه هذا القول طرح الحصري القائل بان مصر يمكن أن تلعب دور بروسيا عند توحيد ألمانيا أو بيد مونت عند توحيد ايطاليا[3].

---

[1]- مارلين نصر، المرجع السابق، ص 134.

[2]- نفس المرجع، ص 99.

[3]- جمال عبد الناصر، وثائق ثورة يوليو، موفم للنشر، الجزائر،1988، ص ص 222-223.

ويبدو أن فكرة التدرج والمرحلية في تحقيق الوحدة العربية راسخة في ذهن عبد الناصر وقد اعترف بعد فشل الوحدة المصرية–السورية بأنه أجاب القادة السوريين الذين طرحوا عليه ضرورة الوحدة الفورية بأنه" يجب أن ننتظر خمس سنوات ونجرب وحدة اقتصادية ووحدة ثقافية ثم نتجه بعد ذلك إلى الوحدة الدستورية". مثلما كان عبد الناصر يأخذ الظروف الدولية بعين الاعتبار في أي عملية وحدوية عربية، ويؤكد ذلك الرئيس الجزائري الأسبق احمد بن بلة الذي قال في حوار له مع محمد خليفة في عام 1985 انه كلما طلب من عبد الناصر الإعلان عن الوحدة مصرية–جزائرية رد عليه لننتظر قليلا لأنه لا فائدة من خلق أعداء لنا الآن[1].

[1]– مارلين نصر، المرجع السابق، ص 134.

المبحث الثالث: حركة القوميين العرب

بعد نكبة فلسطين في عام 1948، نشا تنظيم عربي فدائي سمي بكتائب الفداء العربي، يؤمن بالعمل المسلح والإرهاب كوسيلة وحيدة لتحرير فلسطين، وهي عبارة عن توحيد لثلاث مجموعات فدائية، أحدها في بيروت بزعامة جورج حبش وثانية في مصر بزعامة حسين توفيق وثالثة بسوريا بقيادة كل من جهاد ضاحي وهاني الهندي[1].

وقد انبثقت حركة القوميين العرب عن كتائب الفداء العربي بعدما اكتشف أمر هذا التنظيم الفدائي عند محاولته اغتيال الرئيس السوري أديب الشيشكلي عام 1950 فاضطر جورج حبش وزملائه الى الانتقال من العمل المسلح إلى العمل السياسي، فأنشأوا تنظيما سياسيا أطلقوا عليه اسم" حركة القوميين العرب" وذلك عام 1950. ورفعت حركة القوميين العرب في بدايتها شعار" الوحدة والتحرر والثأر"، وتميزت عن البعث العربي والحركات القومية العربية الأخرى، وترى بأن العداوة بين العروبة واليهودية هي عداء تاريخي يعود إلى ما قبل التاريخ[2].

وتقسم الحركة–حسب برنامجها السياسي–نضالها إلى مرحلتين، ففي المرحلة الأولى ترى ضرورة التركيز فقط على خلق دولة عربية واحدة والقضاء على الصهيونية بالاستناد على كل الطبقات الاجتماعية وتفادي أي صراع طبقي في المجتمع العربي، ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة البناء الاقتصادي الذي يمهد الطريق للاشتراكية العربية والديمقراطية، وقد تعرض هذا البرنامج السياسي لانتقادات لاذعة خاصة من طرف البعث الذي كان يرى استحالة الفصل بين النضال ضد الامبريالية والصهيونية وعملائهم في الداخل والمتمثلون في الرجعية والإقطاع والبرجوازية الحاكمة[3].

---

[1]– باسل الكبيسي، المرجع السابق، ص ص 64–65.

[2]– الحكم دروزة وحامد الجبوري، مع القومية العربية، دار الفجر الجديد، بيروت، 1960، ص ص 178، 186.

[3]– باسل الكبيسي، المرجع السابق، ص ص 77–78.

ولم تعتنق حركة القوميين العرب فكرة الاشتراكية العربية، ولم تظهر عداءا للإقطاع والبرجوازية العليا إلا بعد فشل الوحدة المصرية–السورية عام1961، واكتشافها مدى دور هذه الطبقات في إفشال الوحدة، وبأن مصالحها مرتبطة بالتجزئة العربية. وبعد نكسة 1967 تبنت الحركة الإيديولوجية الماركسية، والتي كانت تعاديها في بدايات تأسيسها فنلاحظ بان الحركة بعدما اكتشفت بأن طبقتي الإقطاع والبورجوازية العليا تعملان ضد الوحدة العربية، فإن نكسة 1967 قد كشفت لها أيضا أن البورجوازية الصغيرة والمتوسطة التي قادت الثورة العربية في الخمسينيات والستينيات هي أيضا عدوة للوحدة والديمقراطية وإنها لم تقم إلا أنظمة عسكرية تدافع عن مصالح وامتيازات هذه الطبقة البورجوازية الجديدة[1].

تعددت التفسيرات لهذه التطورات الإيديولوجية لحركة القوميين العرب منذ تأسيسها عام 1968، فيرى معن زيادة أن سبب ذلك هو الصراع الطبقي داخل الحركة ذاتها ويلاحظ بأن الذين نقلوها الى الماركسية هم غير الأعضاء المؤسسين، ولم يدرسوا في الجامعة الأمريكية كنايف حواتمة الذي درس في كلية بيروت العربية. لكن يبدو أيضا أن حركة القوميين العرب قد تأثرت بعصبة العمل القومي، وان شعارها "الثأر" قد أخذته عن كتاب " الثأر أو محو العار" لعلي ناصر الدين. ونشير إلى أن الحصري أيضا كانت له نفس الفكرة، ولمعرفة الأفكار القومية للحركة يجب العودة الى كتاب" مع القومية العربية" الذي ألفه كل من الحكم دروزة وحامد الجبوري، ويمثل هذا الكتاب النظرة القومية الخالصة للحركة، خاصة إذا علمنا أن الحكم دروزة هو مسؤول لجنة الفكر لحركة القوميين العرب في عام 1961[2].

[1]– محسن ابراهيم، في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي، دار الفجر، بيروت، 1962، ص 150.

[2]– باسل الكبيسي، المرجع السابق، ص ص 60، 62.

يحدد كل من دروزة والجبوري العناصر المميزة للقوميات والأمم في" اللغة والتاريخ والثقافة والوطن والمصالح والعادات والتقاليد والأهداف" لكنهما يؤكدان على أهمية بعض الأسس والروابط على أخرى بالنسبة لكل امة، وان الوحدة التاريخية الاجتماعية بكل عناصرها هو الذي يوجد الوحدة القومية والتميز القومي وليس الوحدة القومية[1].

[1]- الحكم دروزة وحامد الجبوري، المرجع السابق، ص 37

خاتمة

خاتمة:

نأمل من خلال هذه الدراسة أننا بينا الدور البارز لساطع الحصري في تدعيم فكرة القومية العربية ومحاولة إحياءها من جديد، واستخلصنا مجموعة من النتائج ندرجها فيما يلي:

- أن فكرة القومية العربية موغلة في القدم، لكن العرب لم يعرفوا مصطلح الأمة إلا بعد ظهور الإسلام، وفي أوروبا اقتصر إطلاق مصطلح الأمة قبل القرن 19 الميلادي على الطبقات العليا .
- أن معظم المؤرخين العرب اكتفوا فقط بترديد أطروحتين بشأن انبعاث القومية العربية الحديثة إحداها مصرية تقول بأن محمد علي هو أول من دعا إلى فكرة القومية وأخرى شامية وهي تردها إلى الحركة الفكرية في لبنان وسوريا
- أيد الحصري إنشاء جامعة الدول العربية واعتبرها خطوة لتحقيق الوحدة العربية، لكنه تراجع عن هذا الموقف معترفا بان جامعة الدول العربية أثرت تأثيرا سلبيا على فكرة القومية العربية
- تعتبر مسألة الأقليات في الوطن العربي من أشد المسائل حساسية، مما جعل الفكر القومي العربي عاجز حتى الآن على إيجاد حل يرضي الأقليات العرقية في الوطن العربي
- وحد الحصري التربية والتعليم في العراق بعد وضعه مدارس مختلف الطوائف الدينية تحت إشراف وزارة المعارف، وعمل على تقريب الهوة بين السنة والشيعة في التعليم الديني، بحكم عمله في التدريس ومحاولة تحقيق وحدة المناهج التعليمية في الوطن العربي ويعتبر من أنصار الحداثة.

- اعتبر الحصري أن للغة العربية بالغ الأهمية في إحياء الأمم، وأنها العنصر الرئيسي في تحديد الهوية العربية للأمة، ولها دور في صنع الكيان القومي للأمة العربية وفي تكوين الوجدان والفكر.
- رفض الحصري التهور والاندفاع في أي عمل واستعمل الدبلوماسية مؤيدا سياسة "خذ وطالب" التي طبقها فيصل الأول مع الانجليز من أجل تحرير بلاده العراق.
- انطلق من أوضاع الأمة العربية وظروفها لصياغة آرائه القومية، وكان يتجنب قضايا من شأنها الأضرار بمفهوم الأمة العربية.
- تعرض الحصري لانتقادات لاذعة عدة من مفكرين عرب بخصوص نظرته للقومية العربية.
- كان الحصري من الأوائل الذين وسعوا حدود الأمة العربية إلى إفريقيا عند تحديده للبلاد العربية متجاوزا بذلك ماتم حصره سابقا في آسيا،كما أنه يعارض مطالب الأقليات القومية والعرقية في الوطن العربي في دراسة لغاتهم ويشترط تعلم اللغة العربية أيضا مثلما فعل مع أكراد العراق.
- رفض الحصري الكيانات السياسية المصطنعة التي تخدم الاستعمار، ودعا إلى دولة عربية واحدة شاملة.
- – رغم اعتراف الحصري بأهمية المصالح الاقتصادية إلا أنه رفض أن تكون شرطا لتحقيق الوحدة، ورفض المشاريع الوحدوية الإقليمية واعتبرها تعيق الوحدة العربية الشاملة.
- علق الحصري أملا عريضة على مصر بأنها تلعب دورا محوريا في تحقيق الوحدة العربية آخذا في ذلك دور بروسيا كنموذج في تحقيق الوحدة الألمانية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1- أبو خلدون ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت 1985.

2- ـــــــــــــ، أحاديث في التربية والاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984 .

3- ـــــــــــــ، أراء وأحاديث في التاريخ والاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

4- ـــــــــــــ، أراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985.

5- ـــــــــــــ، أراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2 بيروت، 1985.

6- ـــــــــــــ، الأعمال القومية لساطع الحصري، القسم الأول، الملحق الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، اكتوبر، 1985.

7- ـــــــــــــ، الإقليمية جذورها وبذورها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

8- ـــــــــــــ، ثقافتنا في جامعة الدول العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

9- ـــــــــــــ، دفاع عن العروبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت، 1985.

10- ـــــــــــــ، صفحات من الماضي القريب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 1985.

11- ـــــــــــــ، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1985.

12- ـــــــــــــ، في اللغة والادب وعلاقاتهما بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985.

13-ـــــــــــــ، ما هي القومية ؟، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1958.

14-ـــــــــــــ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 1985.

15- ـــــــــــــ، مذكراتي في العراق ج ا (1921-1927)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1 بيروت،1967.

16-ـــــــــــــ، مذكراتي في العراق ج اا (1927 – 1941)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 بيروت، 1968

17- ـــــــــــــ، يوم ميسلون – صفحة من تاريخ العرب الحديث – دار التحاد بيروت، د ت.

-ب- المراجع (باللغة العربية):

1- إبراهيم محسن، في الديمقراطية والثورة والتنظيم الشعبي، دار الفجر، بيروت، 1962.

2- إبراهيمي عبد الحميد، أبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 بيروت، 1980.

3- أحمد أحمد يوسف، الصراعات العربية (1945-1981)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 1988.

4- أحمد عبد الكريم، القومية والمذاهب السياسية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

5- أمين جلال احمد، المشرق العربي والغرب -بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية -، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت ،1981.

6- برج محمد عبد الرحمان، ساطع الحصري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969.

7- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر (بحث استطلاعي اجتماعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت 1986.

8-بويد شيفر، القومية-عرض وتحليل-، تر جعفر حصباك وعدنان الحميري، دار مكتبة الحياة، ببيروت بالاشتراك مع مؤسسة زنكين للطباعة والنشر، ببغداد، 1966.

9- حزب البعث العربي الاشتراكي، نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في المرحلة التأسيسية، دار الحرية للطباعة بغداد، د ت.

10- حزب البعث العربي الاشتراكي، نضال البعث في سبيل (الوحدة، الحرية، الاشتراكية)، ج1، دار الطليعة، ط3، بيروت، 1972.

11- حسين محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج II، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 3، بيروت، 1972.

12-حمادي سعدون، أراء حول قضايا الثورة العربية، دار الطليعة، بيروت، 1985.

13- حمادي سعدون وآخرون، دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت 1984.

14- أحمد حمروش، نبض التاريخ، دار مطابع المستقبل بالقاهرة ومؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، د ت.

15- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939)، تر كريم عزقول دار النهار للنشر، ط 3 بيروت، 1972.

16- دروزة الحكم، الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر، ط 3، بيروت 1963.

17- الحكم دروزة وحامد الجبوري، مع القومية العربية، دار الفجر الجديد، بيروت، 1960.

18- الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية-دراسة في الهوية والوعي-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 بيروت، 1884.

19- الدوري عبد العزيز، الجذور التاريخية للقومية العربية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1960.

20-منيف الرزاز، فلسفة الحركة القومية ج II- التحدي الاستعماري - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979.

21- الرفاعي أنور وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، دار الفكر العربي، د ت، د م.

22- زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية - مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية - التركية، دار النهار للنشر، ط 2، بيروت، 1972.

23- جوزيف ستالين، الماركسية والقضية القومية، تر رابطة الكتاب التقدميين، دار النهضة، بيروت، (د ت).

24-ستودار دلوثروب، حاضر العالم الإسلامي، المجلد الثاني ج III، تعليقات شكيب أرسلان، تر عجاج نويهض، دار الفك، ط 4، بيروت، 1973

25-ستيوارت دزمونت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث-معبد جانوس-، تر زهدي جارالله، دار النهار للنشر، ط 2 بيروت،1981.

26-سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

27- سعيد إدوارد، الاستشراف(المعرفة-السلطة-الإنشاء)، تر كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت 1984.

29- باتريك سيل، الصراع على سورية-دراسة للسياسة العربية (1945-1958)، تر سمير عبده ومحمود فلاحة، دار الكلمة للنشر، ط 1، بيروت، 1980.

30- شريف محمد بديع وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، دار اقرأ، ط 2، بيروت، 1984.

31- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية -دراسة في الأصول والنظريات- منشورات ذات السلاسل، ط 4 الكويت، 1985.

32- عبدالله نبيه بيومي، تطور فكرة القومية العربية في مص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

33- جمال عبد الناصر، وثائق ثورة يوليو، موفم للنشر، الجزائر،1988.

34-العريسي عبد الغني، مختارات المفيد، قدم لها ناجي علوش، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت،1981.

35-عفلق ميشال، في سبيل البعث، دار الطليعة للطباعة والنش، بيروت، 1959.

36-عفلق ميشال، معركة المصير الواحد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط4، بيروت، 1972.

37- أنور العقاد، دراسات في المجتمع العربي، مطبوعات مكتبة الشرق، ط 2، حلب، 1969/1968.

38- قزيها وليد وآخرون، الحياة الفكرية في المشرق العربي (1890 - 1939)، مركز دراسات الوحدة العربية ط 1، بيروت، 1983.

39- الكبيسي باسل، حركة القومين العرب، تعريب نادرة الخضيري الكبيسي، مؤسس الأبحاث العربية، ط 4 بيروت،1985.

40- عبد الرحمان الكواكبي، ام القرى، مطبوعات مكتبة الشرق، حلب، 1958.

41- الكوثراني وجيه، الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي (1860-1920)، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982.

42-ليقين، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث (في لبنان - سوريا - مصر)، تر بشور السباعي، دار ابن خلدون ط1، بيروت، 1978.

43- ليلة محمد كامل، المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966.

44- علي المحافظة وآخرون، جامعة الدول العربية – الواقع والطموح -، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 بيروت، 1983.

45- مرقص إلياس، الماركسية والمسألة القومية، دار الطليعة، بيروت، 1970.

46- مرقص إلياس، نقد الفكر القومي ج ا-ساطع الحصري-، دار الطليعة، بيروت، 1966.

47- مطر جميل وهلال علي الدين، النظام الإقليمي العربي (دراسة في العلاقات السياسية العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، بيروت، 1983.

48- مقلد إسماعيل صبري، في مواجهة إسرائيل، دار الوحدة للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1980.

50- الميلي محمد، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، دار الكلمة للنش، ط 2، بيروت، 1983.

51- نصر مارلين، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (1952-1970)- دراسة في علم المفردات والدلالة-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت،1984.

52-فريدريك هرتز، القومية في التاريخ والسياسة، تر عبد الكريم احمد، مراجعة د- إبراهيم السقر، دار الكتاب العربي للطباعة والنش، القاهرة، د ت.

53-الهرماسي محمد عبد الباقي، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1987.

54- محمد حسنين هيكل، قصة السويس- اخر المعارك في عصر العمالقة -، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1 بيروت،1977.

ت- مراجع (باللغة الفرنسية):

1- Gautier, le passé de l'Afrique du nord- les siècles obscurs-Nouvelle édition Paris Payot 1952 p65.
2- Général Cartoux, Deux missions au Moyen Orient(1919-1922), plon 26 paris 1958 p57.
3- Madjid Khadduri, Political Trends in the Arab World (The role of ideas and ideals in politics),the john shop kins press Baltimor and london 1970 p 119.
4- William L .Cleviand, the Making of an arab Nationalist, (ottomanisme and Arabismin the life and thought of sati Al Husri) Princeton, New jersey, Princeton University Press 1971 pp 14-15.

ث- المجلات :

1- أنور الجندي، مؤلفات في الميزان، مجلة منار الإسلام التي تصدر عن وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة.

2- السهرودي نجم الدين، "التاريخ لم يبدا غدا" (حقائق وأسرار عن ثورة رشيد الكيلاني وثورة 1958)، **منشور على حلقات في صحيفة القبس الدولي الكويتية،** عدد 28، أوت 1987.

3- محمود محمود الإمام، التكامل الاقتصادي العربي بين عقيدين، **مجلة المستقبل العربي،** الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد 138، أوت 1990.

4- معن بشور، معوقات الوحدة العربية والمعوقات الذاتية لدى الوحدويين العرب، **مجلة المستقبل العربي،** عدد 4، 1989.

5- وليد قزيها، فكرة الوحدة العربية في مطلع القرن العشرين، **مجلة المستقبل العربي،** الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 4، نوفمبر، 1978.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة: 1

الفصل التمهيدي: فكرة القومية العربية

I– ظهور فكرة القومية العربية 6

II– الاوضاع العامة في الوطن العربي (1918–1968) 13

1–الوضع السياسي 13

2– الوضع الاقتصادي: 19

3– الحياة الفكرية والاجتماعية: 21

الفصل الأول: حياة ساطع الحصري

المبحث الاول: مولده ونشأته 27

المبحث الثاني: وظائفه في الدولة العثمانية (1900–1918) 29

المبحث الثالث: ساطع الحصري في سوريا (1920–1921) 31

المبحث الرابع: ساطع الحصري في العراق(1921–1941) 32

المبحث الخامس: ساطع الحصري بعد نفيه من العراق(1941–1968) 38

الفصل الثاني: الفكر القومي عند ساطع الحصر

المبحث الاول: نظرة الحصري العامة الى القومية 41

المبحث الثاني: نقاش الحصري لمختلف النظريات القومية 43

1– الحصري والنظرية الألمانية : 43

2– الحصري والنظرية الفرنسية: 45

3– الحصري والنظرية الشيوعية: 47

المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في فكر الحصري 50

المبحث الرابع: نقد الحصري 53

1– انتقادات انور الجندي: 53

2– انتقادات وميض جمال عمر نظمي: 55

3– انتقادات سعدون حمادي: 56

4– انتقادات الياس مرقص: 57

الفصل الثالث: محتوى الفكر القومي العربي عند ساطع الحصر

المبحث الأول: مفهوم الأمة العربية مقوماتها وخصائصها 59
المبحث الثاني: التجزئة العربية وجذور الاقليمية ومواجهتها 62
المبحث الثالث: الوحدة العربية (شكلها ووسائل تحقيقها) 66
المبحث الرابع: برنامج القومية العربية 71
1- التجديد الحضاري في إطار التواصل مع الماضي: 71
2- بناء انسان عربي جديد: 72
3- العلمانية: 73
4- الحريات والديمقراطية: 74
5- الحرية الاقتصادية مع ضمان العدالة الاجتماعية: 76

الفصل الرابع: الفكر القومي العربي المعاصر وموقعه من الفكر الحصري

المبحث الأول: حزب البعث العربي 78
المبحث الثاني: الحركة الناصرية 82
المبحث الثالث: حركة القوميين العرب 88
خاتمة: 92
قائمة المصادر والمراجع: 95
فهرس المحتويات 103